



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
والتعليم الفنى
قطاع الكتب

كفاح شعب مصر

للفيف الثانى الإعدادى



طبعة ٢٠١٧-٢٠١٨ م

غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
والتعليم الفنى
قطاع الكتب

كفاح شعب مصر للفص الثاني الإعدادى

تأليف
د/عزالدين فرج

لجنة التعديل والمراجعة

د. إسماعيل محمد عبد العاطى	د. أحمد السعيد شلبى
د. سعيد عبد الحميد عبد القادر	د. كمال عوض الله عبد الجواد

إشراف تروى
مدير مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية

طبعة ٢٠١٧-٢٠١٨ م

غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

مقدمة

كنت يا ولدي وأنت طفل صغير في المرحلة الأولى من دراستك تُطاردني كل مساء لأقص لك قصة، وكنت دائماً تحظى^(١) في كل ليلة بقصة، وكنت تجد في كل قصة تسليةً ومُتعةً. ومضت بك الأيام يا ولدي، وإذا بك قد كبرت، وأصبحت فتى يُدرك طبيعة الأحداث الجارية حوله، فكان لابد أن أقص عليك القصة الكبرى، قصة شعبنا العربي الخالد، قصة شعبنا المجيد عبر القرون والعصور.

واليوم أقدم لك هذه الصفحات، لتري فيها حقيقة شعبنا الذي نشرف بالانتساب إليه، ولتري كيف ثبتت أمام المحن^(٢) وكيف صبر على المكاره والخطوب^(٣) وكيف صمد^(٤) أمام عظام الأمور، وكيف وقف في وجه الغزاة والدخلاء المستعمرين.

في هذه الصفحات يا ولدي أروي لك أحداث الماضي، لتلمس عظمة أجدادك، ولتدرك أنك من شعب عظيم، كان يريد دائماً العزة والرُفعة، وكان يأبى^(٥) دائماً المدلة والهوان^(٦). أروي لك هذه الأحداث، لتري كيف جاهد أجدادك في شجاعة، وبطولة وتضحية نادرة، ولتري كيف حاول الغزاة أن يغيروا من طبيعة شعبنا وشخصية قومنا فما لأن شعبنا ولا ضعف، وما خضع ولا استكان^(٧)، وكان مع الأيام أثبت من الجبال صموداً، وأصلب من الفولاذ، فبقيت بلادنا خالدة. وكَم من مرة اجتاحت بلادنا الغاصبون وظنوا أنهم قَلَبُوا مُدُنَهَا أَنْقَاضاً^(٨) فوق سكاينها فإذا الشعب الأصيل ينفض عنه غبار الاستعمار.

وستري يا ولدي في هذه الفصول المتتابعة كيف استطاع شعبنا المجيد أن يثق بنفسه، ويؤمن بحقه في حياة حرة كريمة، وستدرك كيف استطاع بصبره وشجاعته وإيمانه أن يهزم المغول والصليبيين، يتعايش مع الأتراك، ويذل الفرنسيين، ويقاوم الإنجليز.

المؤلف

(١) تحظى : تنال

(٢) المحن : البلايا والشدائد.

(٣) الخطوب : الشدائد.

(٤) صمد : ثبت.

(٥) يأبى : يرفض.

(٦) الهوان : الذل.

(٧) استكان : خضع وذل.

(٨) أنقاضاً : نقض البناء هدمه، جمع : نقض ما هدم من البيت.

يبدأ الفصل الأول من كفاح شعبنا المجيد ، بقصة جماعة من الرعاة ، كانوا يعيشون في آسيا ، ويعرفون بالهكسوس .

لقد تسلس هؤلاء القوم إلى مصر ، أيام أجدادنا الفراعنة ، أغاروا عليها من الشمال ، حتى وصل زحفهم إلى ما نسميه الآن محافظة الشرقية ، وعسكروا في بلدة «أواريس» وأقاموا بها ، وجعلوها عاصمة يعتصمون^(١) بها .

وبدأ هؤلاء القوم يتدخلون في شئون مصر ، ويرحفون حتى امتد نفوذهم إلى كثير من أرجائه^(٢) ، عاملين على تفرقة صفوف الشعب ، وإخماد قوته ، وإضعاف كلمته .

راح هؤلاء القوم يآلدي يظلمون الناس ، وينهبون أقاتهم ، ويسرقون أموالهم ، ويشردون أبناءهم ، حتى عم الغضب والسخط جميع أنحاء^(٣) البلاد .

ولم يكتف هؤلاء الدخلاء بكل ذلك ، بل راحوا يسخرون من عادات المصريين وتقاليدهم حتى بلغ بملكهم أن يسخر من «سقن رع» أمير طيبة ، وكان سقن رع وقتئذ أقوى أمراء مصر ، وأكثرهم إخلاصاً لبلادهم ، وأشدهم معارضة لحكم هؤلاء الدخلاء .

أرسل ملك الهكسوس رسولا يقول لسقن رع : «إن أفراس النهر في طيبة^(٤) تزعجه في أواريس»^(٥) إذا لم تكف أفراس النهر عن هذه الأصوات فسيرسل من يبيدها^(٦) .

فصاح سقن رع غاضباً قائلاً لرسول ملك الهكسوس هذا تهديد ووعد ... أترعجه أفراس النهر في طيبة ، والمسافة بين طيبة وأواريس سبعمائة ميل أو تزيد؟ ثم عاد رسول الهكسوس يقول:

لقد علم سيدي أنك تزيد في جيشك ، لهذا أرسلني إليك منذراً ومُحذراً .

(١) يعتصمون بها: يلجئون إليها ويحتمون بها.

(٢) أرجائها: نواحيها مفردها رجا.

(٣) أنحاء: جوانب وجهات.

(٤) طيبة مكانها الآن الأقصر.

(٥) أواريس عاصمة الهكسوس ، في شمال مصر.

(٦) يبيدها: يهلكها.

وَمَا أَنْ خَرَجَ رَسُولُ الْهُكْسُوسِ ، حَتَّى اجْتَمَعَ سَقْنَن رَع بِرَجَالِهِ لِلتَّفَكِيرِ فِي رَدِّ هَذِهِ الْإِهَانَةِ الَّتِي لَحِقَتْ بِهِمْ ، مِنْ مُسْتَعْمِرٍ دَخِيلٍ . وانتهى اجتماعهم بأن يُرْسِلَ «سَقْنَن رَع» إلى جميع أمراء مصر رُسْلَهُ ؛ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى ضَمِّ الصَّفُوفِ وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ ... وإلى لقاء قريبٍ في القصر .

شَعَرَ أَمْرَاءُ مِصْرَ ، أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ لِلصَّبْرِ أَيُّ مَكَانٍ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَبَعْدَ أَنْ سَمِعُوا نِدَاءَ سَقْنَن رَع وَدَعْوَتَهُ . وجاءَ يَوْمُ اللَّقَاءِ يَا وَلَدِي ، وَأَعْلَنَ النَّفِيرُ قُدُومَ الْأَمْرَاءِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَعِنْدَمَا اجْتَمَعَ الْأَمْرَاءُ بَدَأَ «سَقْنَن رَع» يَقُولُ :

لَنْ نَرْضَى الْحَيَاةَ فِي وَطَنِنَا عَبِيدًا أَذْلَاءَ ، وَلَنْ نَقْبَلَ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِيْنَا عَدُوٌّ يُفْسِدُ عَلَيْنَا نَفُوسَنَا وَأَفْكَارَنَا ، وَيَغْتَصِبُ أَرْضَنَا ، وَيَقْتُلُ أَبْنَاءَنَا وَيَحْطِمُ عِزَّتَنَا وَكِرَامَتَنَا .

ثُمَّ رَاحَ «سَقْنَن رَع» يَقْصُ عَلَيْهِمْ قِصَّةَ أَفْرَاسِ النِّهْرِ ، وَكَيْفَ كَانَتْ تُفْلِقُ مَلِكَ الْهُكْسُوسِ فِي «أَوَارِيس» .

فَصَاحَ أَمِيرُ «بُوْتُو» قَائِلًا : «لَقَدْ تَجَاوَزَ الظَّالِمُونَ الْمَدَى» .

وَصَاحَ أَمِيرُ قِفْطَ : « لَنْ نَقْبَلَ هَذِهِ الْإِهَانَةَ أَبَدًا » .

وَصَاحَ أَمِيرُ أَرْمَنْتَ : «لَا بُدَّ مِنْ تَأْدِيبِهِ وَطَرْدِهِ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ» .

وَعَادَ سَقْنَن رَع يَقُولُ :

كَيْفَ نَعِدُ لِلْأَمْرِ عُدَّتَهُ ؟

فَقَالَ أَمِيرُ :

سَأَقْدِمُ لِقِتَالَ هَؤُلَاءِ الدُّخْلَاءِ كُلِّ مَا جَمَعْتُهُ مِنْ «عَرَبَاتٍ» ؛ لِكَيْ نُحَارِبَهُمْ بِمِثْلِ مَا يُحَارِبُونَنَا بِهِ .

وَصَاحَ أَمِيرُ أَبِيْدُوسَ : لَنْ أَتْرُكَ فِي مِقَاطَعَتِي رَجُلًا إِلَّا أَرْسَلْتُهُ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْهَكْسُوسِ .

وَصَاحَ أَمِيرُ قِفْطَ : يَا سَقْنَن رَع : إِنْ جُنُودِي ، وَمَا فِي خِزَانَتِي مِنْ مَالٍ وَقَفَّ عَلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الدُّخْلَاءِ .

وَقَالَ أَمِيرُ «بُوْتُو» : أَمَّا أَنَا فَسَأَدَبِّرُ لَكُمْ الرِّجَالَ ، وَمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَقْوَاتٍ وَخِيَامٍ .

وصاح سقنن رع فى سُروِرٍ زَائِدٍ قَائِلًا : بُورِكْ فِىكُمْ يَا أَمْرَاءَ مِصْرَ ... هَكَذَا تَلْتَقِى صُفُوفُنَا... وَهَكَذَا تَتَّوَحَّدُ إِرَادَتُنَا .

حَارَبَ الْمَلِكُ الشُّجَاعُ سَقْنَنُ رَعِ عَدُوَّهُ ، وَسَقَطَ مُدْرَجًا بِدِمَاءِ الشَّرَفِ وَكَانَ لِرُوحَتِهِ (إِيَّاحَ حَتَبِ) الْفَضْلُ فِى دَفْعِهِ إِلَى سَاحَةِ الشَّرَفِ ، وَشَجَّعَتْ ابْنَتَهَا الْأَكْبَرَ (كَامُوسَ) عَلَى مُوَاصَلَةِ الْحَرْبِ ، وَانْتَصَرَ عَلَى الْهَكَسُوسِ . وَطَهَّرَ الصَّعِيدَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ ثَوَّقَى ، وَخَلَّفَهُ أَخُوهُ الشَّابُّ (أَحْمَسَ) الَّذِى كَرَّسَ حَيَاتَهُ لِحُدُودِ وَطَنِهِ.

وَزَحَفَ جَيْشُ مِصْرَ بِقِيَادَةِ أَحْمَسَ ، مِنْ طَبِيبَةٍ إِلَى الشَّمَالِ ، وَكُلُّ جُنْدِيٍّ فِى هَذَا الْجَيْشِ مُتَحَمِّسٌ لِلِقَاءِ هَؤُلَاءِ الدُّخْلَاءِ ، مُتَعَطِّشٌ إِلَى الْفَتْكِ^(١) ، بِهِمْ ؛ لِيُخَلِّصَ بِلَادَهُ مِنَ الذُّلِّ الَّذِى لَحِقَ بِهَا ، وَالْعَارِ الَّذِى خَيَّمَ عَلَيْهَا .

وَمَا أَنْ تَلْقَى جَيْشُ «أَحْمَسَ» بِهِؤُلَاءِ الرُّعَاةِ الدُّخْلَاءِ ، حَتَّى انْدَفَعَ نَحْوُهُمْ انْدِفَاعَ الْأَسَدِ نَحْوَ فَرِسَتِهِ وَانْقَضَ عَلَيْهِمْ انْقِضَاضُ الطَّيْرِ الْجَارِحِ عَلَى صَيْدِهِ . وَأَمَامَ هَذِهِ الصُّفُوفِ الرَّاحِقَةِ ، لَمْ يَجِدْ هَؤُلَاءِ الدُّخْلَاءُ غَيْرَ الْفِرَارِ إِلَى الشَّمَالِ . وَرَاحَ أَحْمَسُ يُطَارِدُهُمْ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنْ عَاصِمَةِ مُلْكِهِمْ «أَوَارِيسَ» . وَأَمَامَ هَذِهِ الْإِرَادَةِ الصُّلْبَةِ وَالْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ لَمْ يَسْتَطِعْ مَلِكُ الْهَكَسُوسِ غَيْرَ الْهَرَبِ مِنْ وَجْهِ الْجَيْشِ الْمِصْرِى ، وَعَادَ مِنْ حَيْثُ أَتَى .

وَأَنْقَذَ «أَحْمَسُ» مِصْرَ الْقَدِيمَةَ كُلَّهَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُغِيرِينَ الدُّخْلَاءِ ، بَعْدَ أَنْ جَمَعَ الْكَلِمَةَ وَوَحَّدَ الصُّفُوفَ وَالْجُهُودَ .

(١) الْفَتْكُ: الْهَلَاكُ.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية:

- (١) ماذا تعرف عن الهكسوس؟ ومن أين أتوا؟ ولماذا؟
- (٢) كيف حكم الهكسوس مصر؟
- (٣) لماذا غضب "سقنن رع" وأمر بأن يجتمع به أمراء مملكته؟ وما القرار الذي اتخذه؟
- (٤) ما أهم تراث تركه لنا أجدادنا الفراعنة؟ وما واجبنا نحو هذه التركة؟
- (٥) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتي:
- أ- أحمس: (قائد الجيش المصري - قائد الهكسوس - قائد الفرس)
- ب- الصفوف الزاحفة هي صفوف (الهكسوس - المغول - المصريين).
- (٦) أكمل من العمود (أ) بما يناسبه من العمود (ب):

(ب)

(أ)

١. جيشه ليحرّر البلاد من الهكسوس	أ- لمّا كان حكم الهكسوس ظالماً
٢. ليُوحّد كلمة أمراء مصر	ب- كان "سقنن رع" يزيد من قوة
٣. ثار عليهم المصريون في كل مكان	ج- عقد "سقنن رع" اجتماعاً
٤. ليُواجه العدو في الشمال	د- أعاد "سقنن رع" قصة أفراس النهر
٥. أمير فقط	هـ- قاد أحمس جيشه
٦. على الأمراء ليُحمّسهم	

فى القرن السابع قَبْلَ المِيلادِ تَدَاعَتْ ^(١) دَوْلَةُ آشورَ ، وَكَانَتْ دَوْلَةُ الفُرسِ الوَرِثَةُ الشَّرْعِيَّةُ لِهَذِهِ الإمبراطوريةِ المُتَدَاعِيَةِ . وَبَدَأَ (قَمْبِيزُ) يَحْلُمُ بِدُخُولِ مِصْرَ . فَرَاخَ يُعِدُّ جَيْشًا كَبِيرًا هَجَمَ بِهِ عَلَى مِصْرَ . وَكَانَتْ لَهُ الْجَوْلَةُ الْأُولَى ^(٢) .

جاءَتِ الأنباءُ إِلَى الفُرسِ أَنَّ المِصْرِيِّينَ مُصَمِّمُونَ عَلَى الدِّفَاعِ وَالاستِمَاتَةِ ^(٣) وَمُصِرُّونَ عَلَى أَنَّ يُكَبِّدُوا الفُرسَ أَكْبَرَ الخَسَائِرِ فِي كُلِّ شِبْرِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ الْعَالِيَةِ .

أَرَادَ قَمْبِيزُ أَنْ يُلْجَأَ إِلَى السِّيَاسَةِ وَالْخَدِيعَةِ ، فَأَمَرَ بِتَجْهِيزِ سَفِينَةٍ ، تَتَّجُهُ نَحْوَ «مَنْفَ» ، وَعَلَيْهَا مُنَادٍ ، وَرَفَعَ لَافِتَةً فَوْقَ صَارِيهَا ^(٤) لِكَيْ يُظَمِّنَ المِصْرِيِّينَ إِلَيْهِ ، طَالِبًا مِنْهُمْ التَّسْلِيمَ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَمِنْ غَيْرِ قَيْدٍ أَوْ شَرَطٍ ، وَأَخَذَتْ هَذِهِ السَفِينَةُ تَنْتَقِلُ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَالْمِصْرِيُّونَ يُشَيِّعُونَهَا بِنَظَرَاتِ الْحَفْدِ وَالسُّخْرِيَةِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى «مَنْفَ» .

وَلَمَّا وَجَدَ «الفُرسُ» أَنَّ المِصْرِيِّينَ لَا يُقِيمُونَ لَهَا وَزْنًَا ^(٥) ، أَرْسَلَ قَمْبِيزُ إِلَيْهِمْ رِسَالَةً يَقُولُ فِيهَا :

«أَنَا قَمْبِيزُ» .. لَمْ أَكُتُبْ إِلَيْكُمْ لِإِرْغَامِكُمْ فَإِنِّي أَوْدُ زِيَارَتَكُمْ .. لَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ إِذَا أَرَدْتُمْ الحُضُورَ إِلَيَّ .. تَعَالَوْا إِلَيَّ . «أَنَا الَّذِي سَيَمْنَحُكُمْ ^(٦) مَجْدًا أَكْثَرَ مِمَّا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ الْآنَ . أَكُتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا وَأُذِيعُهُ عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا اسْتَمَعْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ خَيْرًا لَكُمْ . وَالْأَفْكَوْنُوا مُسْتَعِدِّينَ لِمُلَاقَاةِ غَضَبِي الَّذِي سَيَنْصَبُ عَلَى رُءُوسِكُمْ ، إِنِّي سَيِّدُ الْأَرْضِ كُلِّهَا» .

وهذه الرِّسَالَةُ الَّتِي أَدَاعَهَا رَسُولُ «قَمْبِيزَ» لَمْ تُضْعِفْ مِنْ عَزِيمَةِ المِصْرِيِّينَ ، بَلْ عَلَى العَكْسِ زَادَتْهُمْ حِمَاسَةً عَلَى حِمَاسَتِهِمْ وَأَخَذُوا يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يَفْعَلُونَ وَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ عَلَى رَفْضِ طَلَبِ التَّسْلِيمِ .

(١) تَدَاعَتْ : تَصَدَّعَتْ وَانْهَارَتْ .

(٢) الْجَوْلَةُ الْأُولَى: الْغَلْبَةُ .

(٣) الْاِسْتِمَاتَةُ: الصَّبْرُ وَالتَّثَابَتُ فِي الدِّفَاعِ .

(٤) الصَّارَى: عَمُودٌ يَقَامُ فِي السَّفِينَةِ يَشُدُّ عَلَيْهِ الشَّرَاعُ .

(٥) لَا يَقِيمُونَ لَهُ وَزْنًَا: الْمَقْصُودُ: لَا يَهْتَمُونَ .

(٦) سَيَمْنَحُكُمْ : سَيُعْطِيكُمْ .

عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا هُمْ أَيْضًا بِرِسَالَةٍ تَهْدِيهِ إِلَى الْمَلِكِ الْفَارِسِيِّ جَاءَ فِيهَا :

«نَكْتُبُ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْجَبَانُ الرَّعِيدُ^(١) «قَمْبِيرُ» لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَكَ يَذْهَبُ بِسَلَامٍ ، لَا خَوْفًا مِنْكَ، بَلْ افْتَحَارًا بِتَقَالِيدِنَا الْمَجِيدَةِ وَلَكِنْ إِذَا آثَرْتُمْ سُخْطَنَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَا نَحْنُ فَاعِلُونَ بِكُمْ .

وَمَا دَامَتِ الْأَنْهَارُ تَقِيضُ بِمَيَاهِهَا .

وَمَا دَامَتِ مَمْلَكَتُنَا مُوْطَدَةً^(٢) الدَّعَائِمِ وَالْأَرْكَانِ .

فَسَوْفَ تَعْلَمُ يَا «قَمْبِيرُ» مَا سَيَحِلُّ بِكَ» .

وَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ وَسَلَّمْ سَيِّدَهُ قَمْبِيرَ رِسَالَةَ الْمِصْرِيِّينَ طَلَبَ رِجَالَهُ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ:

« أَيُّهَا الْمَلِكُ قَمْبِيرُ : الْمِصْرِيُّونَ مُدْرَبُونَ عَلَى الْحُرُوبِ ، لَا تُهَاجِمِ الْمِصْرِيِّينَ ... أَرْسِلْ إِلَيْهِمْ رُسُلًا يَطُوفُونَ بِأَنْحَاءِ الْبِلَادِ وَيَتَحَدَّثُونَ بِاسْمِ فِرْعَوْنَ مِصْرَ ، وَيَتَحَدَّثُونَ حَدِيثًا مَعْسُولًا يُنَاشِدُونَ بِهِ الشَّعْبَ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي وَلِيمَةٍ دُونَ سِلَاحٍ ، حَتَّى تُبْعِدَ فِكْرَةَ الْحَرْبِ مِنْ تَفْكِيرِهِمْ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ شَمْلُهُمْ فَسَيَرَى سَيِّدُهُمْ أَنَّ هُنَاكَ سَيِّدًا آخَرَ قَدْ صَارَ بِيَدِهِ الْأَمْرُ ، فَيَسْتَوَلِي عَلَيْهِ الْخَوْفُ وَالْيَأْسُ ، وَبِذَلِكَ تَخْضَعُ لَكَ الْبِلَادُ » .

اسْتَمَعَ قَمْبِيرُ إِلَى هَذِهِ النَّصِيحَةِ ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ يُبَلِّغُونَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْرَ هَذِهِ الْوَلِيمَةِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الدَّاعِيَ لَهَا هُوَ فِرْعَوْنُ الَّذِي أَفْضَى إِلَيْنَا بِأُمُورٍ خَاصَّةٍ سَتَحْدُثُ هَذَا الْعَامَ . وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ بِشَأْنِهَا، بَلْ فَضَّلْتُ أَنْ تَحْضُرُوا بِأَنْفُسِكُمْ . وَمَنْ امْتَنَعَ عَنِ الْحُضُورِ ، فَسَتُصِيبُهُ لَعْنَةُ الْإِلَهِ وَغَضَبُهُ . وَأَمَّا مَنْ يُلَبِّي وَيَحْضُرُ ، فَسَتَحِلُّ نِعْمُ الْإِلَهِ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ .

وَلَمْ يَتَّخِذِ الْمِصْرِيُّونَ بِحِيلَتِهِ، بَلْ عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ مُكِيدَةٌ^(٣) مِنْ أَعْدَائِهِمْ لِلإِقَاعِ بِهِمْ ، فَحَشَدُوا الْجُيُوشَ ، وَقَابَلُوا بِهَا قَمْبِيرَ؛ فَاتَّجَعَ قَمْبِيرُ بِقُوَّاتِهِ إِلَى مَنْفَى، وَفَتَحَهَا وَغَلَبَ «أَبَسْمَاتِيكَ» إِلَّا أَنَّ الشَّعْبَ لَمْ يَلْنِ وَلَمْ يَضْعَفْ ، وَإِنَّمَا اسْتَمَرَّ يُنَاضِلُ هَذَا الدَّخِيلَ وَيُقَاوِمُهُ .

وظَنَّ الْفَرَسُ أَنَّ الْأَمْرَ فِي مِصْرَ قَدْ اسْتَنْتَبَ لَهُمْ ، وَأَنَّ مِصْرَ أَصْبَحَتْ لُفْمَةً سَائِغَةً أَوْ فَرِيسَةً سَهْلَةً لَهُمْ .. وَلَكِنِ الْمِصْرِيِّينَ رَاحُوا يُقَاوِمُونَ مُقَاوِمَةَ الْأَبْطَالِ الْأَخْرَارِ ، وَأَبَوْا أَنْ يَرْكَنُوا إِلَى الْهُدُوءِ فِي ظِلِّ هَذَا الْاِسْتِعْمَارِ الْبَغِيضِ .

(١) الرعدي: يرتعد عند القتال خوفاً.

(٢) وطد الشيء: ثبته ، موطدة الدعائم، أى قوية راسخة.

(٣) مكيدة: خديعة، والجمع مكاييد.

كانت قلوبهم تنبض بمجد مصر السابق ، وصُدُّوهم تَضْطَرِم^(١) بنيران الكراهية والحقد لهذا المستعمر ، فإذا بهم يقومون قومة رجل واحد في وجهه ثائرين متمردين^(٢) حتى حوّلوا وادى النيل إلى شُعلة مُلتهبة من الكفاح الشعبى المسلح وكلّمَا عاودَ ملك الفرس الزحف على مصر رده الشعب ذليلاً مرة بعد أخرى، وتحرّرت مصر من بطش^(٣) فارس ، وتبوأ^(٤) المصريون عرش آبائهم وأجدادهم كراماً أعزّاء فما أصابهم يأس ولا ضعف ، بل ظلُّوا سنيين طويلةً ، يكافحون إمبراطورية واسعة الأرجاء^(٥) وهم صامدون^(٦) كالجبال ، حتى طردوا العدو وتحرّروا منه .

(١) تضطرم: تشتعل وتتقد.

(٢) متمردين: التمرد العصيان فى عناد وإصرار .

(٣) بطش: البطش القسوة والعنف.

(٤) تبوأ: تبوأ المكان نزله وأقام به.

(٥) الأرجاء: النواحي.

(٦) صامدون: ثابتون مستمرون.

المناقشة

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) متى تداعت دولة آشور؟ وما الدولة التي خلفتها؟
- (٢) متى تمّ احتلال الفرس لمصر؟ وما موقفُ الشعب المصري من ذلك؟
- (٣) أرسل قمبيز رسالة تهديد للمصريين . فبم ردوا عليها؟
- (٤) لماذا صنع قمبيز وليمةً للمصريين؟ وما موقفُ الشعب المصري منها؟
- (٥) ما الأسلحةُ التي كانت تستخدم في الحروب القديمة؟
- (٦) **تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:**
أ- كان رسول قمبيز يحملُ للمصريين رسالة : (تهديد - صلح - انسحاب).
ب- لم يقتل المصريون رسول قمبيز : (خوفاً منه - افتخاراً بالتقاليد المصرية - لعدم تمكنهم منه).
- (٧) **صل ما في العمود (أ) بما يناسبه في العمود (ب):**

(ب)

(أ)

١. لطموحات قمبيز	أ- قامت دولة الفرس
٢. الجيوش الفارسية عدة مرات	ب- كانت مصر هدفاً
٣. في القرن السابع قبل الميلاد	ج- هزمت القوة الشعبية المصرية
٤. بفضل اتحادهم وثقتهم بأنفسهم	د- تم النصر للمصريين.
٥. لا قبل لهم بحروب العدو.	

صلاح الدين يحارب الصليبيين

جَاءَ الْغُرَاةُ إِلَى مِصْرَ لِيَدْخُلُوا أَرْضَهَا . وَيَسْتَعْبِدُوا أَهْلَهَا . وَيُحَطِّمُوا كِيَانَهَا^(١) فَمَا لَأَنْتَ مِصْرُ ... وَمَا رَضِيَ شَعْبُهَا ، وَمَا خَضَعَتْ ، وَمَا اسْتَكَانَ^(٢) أَهْلُهَا . بَلْ وَقَفْتَ يَا وَلَدِي فِي وَجْهِ الْغُرَاةِ وَقَفَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

جَاءَ الصَّلِيبِيُّونَ مِنْ أَوْرَبَّةَ يُوجِّهُونَ حَمَلَاتِهِمْ عَلَى الشَّامِ وَأَسْيَا الصُّعْرَى ، وَظَلَّتْ ضَرَبَاتُهُمْ تَتَوَالَى فِي شِدَّةٍ وَقَوَّةٍ ، قَرَابَةَ قَرْنَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ ثُمَّ سَوَّلَتْ^(٣) لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَهْزِمُوا مِصْرَ كَمَا هَزَمُوا غَيْرَهَا مِنْ قَبْلُ .

ولكن شَجَاعَةَ جُنُودِ مِصْرَ ، وإِيمَانَ أَبنَائِهَا ، وعَزِيمَةَ رِجَالِهَا أَفْسَدَتْ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ .

لَقَدْ وَقَفَ شَعْبُنَا الْخَالِدُ يَا وَلَدِي فِي عَزْمٍ وَإِصْرَارٍ أَمَامَ أَسْرَابِ الصَّلِيبِيِّينَ الَّتِي جَاءَتْ مِنْ بَرِيطَانِيَا وَفَرَنْسَا وَالنُّمَسَا ، وَمِنْ كُلِّ مَكَانٍ فِي أُرُوبَا .

وَقَفَ شَعْبُنَا وَقَفْتَنِيذٍ صَفًا وَاحِدًا ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَمَلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَمَعَ أَنَّهُمْ يَا وَلَدِي جَاءُوا لِقِتَالِنَا فَقَدْ كَانَ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ شَهْمًا نَبِيلًا فِي مُعَامَلَتِهِمْ حِينَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَنَةَ ٥٨٣ هـ كَانَ يُحَسِّنُ مُعَامَلَةَ أَسْرَاهُمْ ، وَيَدْفَعُ الْغَرَامَةَ الْحَرْبِيَّةَ عَنْ فُقَرَائِهِمْ ، وَيُعْفِي مِنْهَا نِسَاءَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ . عَلَّمَهُمْ صَلَاحُ الدِّينِ يَا وَلَدِي ، كَيْفَ يُقَاتِلُ فِي شَهَامَةٍ وَثْبِلٍ ، لَقَدْ حَدَّثَ فِي إِحْدَى الْمَعَارِكِ أَنْ فَقَدَتْ امْرَأَةً مَسِيحِيَّةً طِفْلَهَا ، فَذَهَبَتْ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ تَبْكِي وَتَصْرُخُ ، وَهِيَ تَرُوي قِصَّةَ طِفْلِهَا ، فَرَقَّ قَلْبُهُ ، وَفَاضَتْ دُمُوعُهُ وَأَمَرَ بِالْبَحْثِ عَنِ الطِّفْلِ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى عَثَرَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَهُ لَأُمِّهِ قَائِلًا : إِنَّنَا نَحَارِبُ قَوْمًا طَلَبُوا حَرْبَنَا ، وَلَسْنَا نَحَارِبُ الثَّبِلَ وَالْإِنْسَانِيَّةَ .

هذه يَا وَلَدِي قِصَّةٌ تَكْشِفُ عَنْ شَعْبِنَا الْمُحِبِّ لِلسَّلَامِ ، يُسَالِمُ مَنْ يُسَالِمُهُ . وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِيهِ وَإِذَا حَارَبَ فَلَهُ تَقَالِيدُ إِنْسَانِيَّةٍ نَبِيلَةٍ .

واقعة المنصورة :

وبَعْدَ أَنْ هَزَمَ «صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ» ، جَيْشَ الصَّلِيبِيِّينَ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً فِي وَاقِعَةِ حِطَّيْنِ ، أَرَادَ

(١) كيَانُهَا : وجودُهَا .

(٢) استَكَانَ : اسْتَسْلَمَ وَخَضَعَ وَذَلَّ .

(٣) سَوَّلَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ : حَبَبَتْ إِلَيْهِمْ ، وَأَغْرَتْهُمْ ، وَسَهَّلَتْهُ .

الصليبيون أَنْ يَنَارُوا مِنْهُ^(١) لهذه الهزيمة التاريخية الكُبرى، فَجَهَزَ^(٢) «لويس التاسع» ملك فرنسا حملة صليبية جديدة لِعَزْوِ الشَّرْقِ مَرَّةً ثَانِيَةً.

وَجَاءَتْ هَذِهِ الْحَمْلَةُ الصليبية، وَعَلَى رَأْسِهَا مَلِكُ فَرَنْسَا ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَى دَمِيَاطَ ، وَبَقِيَتْ فِيهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ؛ لَيْسَتْ كَمَلِ لَوِيْسٍ مُعَدَّاتِ حَمَلَتِهِ قَبْلَ اسْتِنْفَافِ رَحْفِهِ فَمَا كَانَ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ إِلَّا أَنْ جَمَعُوا شَمْلَهُمْ وَوَحَّدُوا أَمْرَهُمْ مُنْتَظِرِينَ سَاعَةَ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ.

وَبَيْنَمَا كَانَ الْجَيْشُ الصَّليبيُّ يَسْتَعِدُّ لِلزَّخْفِ عَلَى الْمَنْصُورَةِ، تُوفِّي الْمَلِكُ الصَّالِحُ مَلِكُ الْبِلَادِ ؛ فَعَظُمَ الْخَطْبُ^(٣) عَلَى زَوْجَتِهِ «شجر الدر» فِي هَذَا الْوَقْتِ الْعَصِيبِ^(٤) .

وَقَرَّرَتْ شَجَرُ الدَّرِ أَنْ تَكْتُمَ^(٥) نَبَأَ وَفَاةِ الْمَلِكِ عَنِ النَّاسِ جَمِيعًا ، فَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ ، وَأَنْ تَنْهَضَ هِيَ بِتَصْرِيفِ شُئُونِ الْمَلِكِ ، وَتَدْبِيرِ أَمْرِ الْحَرْبِ ، وَإِصْدَارِ الْأَوَامِرِ بِاسْمِ زَوْجِهَا إِلَى قِيَادَةِ الْجَيْشِ ، حَتَّى يَعُودَ ابْنُهُ «تُورَانُ شَاه» وَارِثُ الْعَرْشِ مِنْ غِيَابِهِ وَأَعْلَنْتْ أَنَّ الْمَلِكَ مَرِيضٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَحَدًا .

وَبَدَأَتْ الْمَعْرَكَةُ الْكُبْرَى، الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا الشَّعْبُ وَالْجَيْشُ ، وَخَرَجَ فِيهَا أَبْنَاءُ الْمَنْصُورَةِ رِجَالًا وَصِغَارًا ، يُحَارِبُونَ مَلِكَ فَرَنْسَا وَجُنُودَهُ فِي الشُّوَارِعِ وَالطَّرِيقَاتِ، وَمِنْ فَوْقِ الْمَنَازِلِ ، بَعْدَ أَنْ تَحَصَّنُوا دَاخِلَ الْمَدِينَةِ بِإِقَامَةِ الْحَوَاجِزِ وَالْمَتَارِيسِ^(٦)

وَهَزَمَ الْجَيْشُ الْفَرَنْسِيُّ الْكَبِيرُ هَزِيمَةً أُخْرَى مُنْكَرَةً، وَقُبِضَ عَلَى مَلِكِ فَرَنْسَا، وَ أَمَرَتْ شَجَرُ الدَّرِ بِسَجْنِهِ فِي دَارِ ابْنِ لُقْمَانَ بِالْمَنْصُورَةِ ، ثُمَّ أَخْلَى سَبِيلَهُ بَعْدَ أَنْ دَفَعَ فِدْيَةً كَبِيرَةً تَعْوِضًا عَمَّا أَحْدَثَتْهُ جُنُودُهُ مِنْ تَدْمِيرٍ وَتَخْرِيبٍ فِي الْبِلَادِ .

الْمَغُولُ يَدْمُرُونَ حَضَارَةَ الْعَالَمِ

وَمَا حَدَّثَ يَا وَلَدِي مَعَ الصَّليبيين حَدَّثَ مَعَ الْمَغُولِ ... فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ انْطَلَقَ

(١) يَنَارُوا مِنْهُ: يَقْتُلُوا مِنْ رِجَالِهِ مِثْلَ مَا قَتَلَ رِجَالَهُمْ.

(٢) جَهَزَ: أَعَدَّ.

(٣) الْخَطْبُ: الْمَصِيبَةُ.

(٤) الْعَصِيبُ: الشَّدِيدُ.

(٥) تَكْتُمُ: تَسْتُرُ.

(٦) الْمَتَارِيسُ: مَا يُوضَعُ فِي طَرِيقِ الْعَدُوِّ لِعَرْقَلَتِهِ، مَفْرَدُهُ: مَتْرَاسٌ.

المغول ، وهم قوم استوطنوا بلاد منغوليا شمالي الصين ، يحاربون إمبراطورية الصين ويلتهمونها جزءًا بعد جزءٍ وركناً بعد ركنٍ .

انطلقوا يندفعون كالسيل الجارف جنوبي الغرب ، فاستولوا على إيران في غير جهدٍ ، ثم أرسل قائدُهم «هولاكو» إلى الخليفة العباسي ، طالباً منه الخضوع والاستسلام ، فردَّهم الخليفة في كبرياء^(١) فانطلقوا بجيشهم الجبار مُكْتَسِحِينَ أرضَ العراق حتى وصلوا إلى حدود بغداد، كعبة العلماء ودرة^(٢) الإسلام ، ثم أطبقوا عليها من الشرق والغرب ، ونصبوا حولها المجانيق^(٣) تقذفها بالسهم والصواعق حتى سلَّمت بغداد ، وانطلقوا فيها تدميراً وتخريباً.

وانتهت بذلك حياة الدولة العباسية ، بهذه النهاية المؤلمة ، بعد أن عاشت خمسة قرون كاملة ، بلغت فيها الحضارة العربية أعلى مراتبها .

ولم يَفُتْ المغولُ بذلك . بل استولوا على الشام في غير عناء^(٤) ، وأصبح سلطانهم يمتدُّ من قلب الصين حتى حدود مصر .

مِصرُ تُوقِفُ السَّيْلَ المَغُولِيَّ

واقتربت جيوشُ المغول من مصرنا الحبيبة ؛ لَنَدُقَّ أَبْوابَها دَقًّا عَنيفًا^(٥) في غَيْرِ رَحْمَةٍ وَلَا شَفَقَةٍ .

جاءوا إلينا وفي اعتقادهم أَنَّ مصرَ سَتُسَلَّمُ لَهُمْ كما سلَّمتْ غيرها من البلدان .. وعندئذٍ تتحقَّقُ السَّيَادَةُ لَهُمْ على الشرق العربي كُلِّهِ .

وهنا يا ولدي أبى شَعْبُ مصرَ المَجدِ أَنْ يَخْضَعَ أو يَلِينَ .. أبى أَنْ يُسَلَّمَ أو يَسْتَسَلِمَ ، وعَزَمَ على أَنْ يَقِفَ في وَجْهِ هَؤُلَاءِ العُزَّاةِ في عَزَمٍ وَقُوَّةٍ وإِيمَانٍ ، تحت زعامة «قُطْرُ» حاكم البلاد وقتئذٍ الذي راح يُعِدُّ نَفْسَهُ لهذا الجهاد الشاقِّ المَرِيرِ .

وخرج « قُطْرُ » على رأسِ الجيشِ ، تتقدمُهُمُ الطُّبُولُ ، وتُنْفِخُ أَمَامَهُمُ الأبواقُ ... وجنودُ مصرَ

(١) كبرياء: عظمة وعدم خضوع.

(٢) الدرة: اللؤلؤة الكبيرة العظيمة.

(٣) المجانيق: جمع منجنيق: آلة حربية قديمة ترمى بها الحجارة.

(٤) عناء: مشقة.

(٥) عنيفًا: شديدًا.

مُتَحَفِّزَةً لِلِقَاءِ هَؤُلَاءِ الْغُزَاةِ ، وَفِي قُلُوبِهِمْ حَمِيَّةٌ ، وَفِي نُفُوسِهِمْ حِمَاسٌ شَدِيدٌ .

وَاحْتَشَدَ الْجَيْشَانِ ، كُلٌّ فِي مَوَاجَهَةِ الْآخَرِ ، وَفُرِعَتِ الطُّبُولُ ، وَنُفِخَتِ الْأُبُوقُ . وَكُتِبَ لِقَرِيَّةِ «عَيْنِ جَالوت» أَنْ تَشْهَدَ الصَّرَاعَ الْعَنِيفَ الَّذِي لَا يُحَدِّدُ مَصِيرَ مِصْرَ وَحْدَهَا ، بَلْ مَصِيرَ الْعَالَمِ الْمُتَمَدِّينِ كُلِّهِ .

وَاصْطَدَمَتِ فُرْسَانُ الْمَغُولِ الطَّائِرَةُ بِالْجُنُودِ الْمَشَاةِ الْمَصْرِيِّينَ الرَّاسِخَةِ الْأَقْدَامِ ، وَعِنْدَمَا ضَغَطَ الْمَغُولُ عَلَى قَلْبِ الْجَيْشِ نُقِذَتْ خُطَّةُ التَّظَاهُرِ بِالْانْكَسَارِ وَالْفِرَارِ ، فَحَدَّثَتِ النَّعْرَةُ ، وَانْدَفَعَ إِلَيْهَا الْمَغُولُ بِقُوَّةٍ حَتَّى قَطَعُوا فِيهَا مَسَافَةً مُنَاسِبَةً . وَلَمَّا حَلَّتِ اللَّحْظَةُ الْحَاسِمَةُ عَادَ الْفَارُوقُ ، وَبَادَرَ السُّلْطَانُ إِلَى اسْتِنْفَافِ الْهَجُومِ ، بِعِزِّ رَاسِخٍ ، وَهُوَ يَصِيحُ : «وَالسَّلَامَاهُ» ، وَأَيَّدَتْهُ قَوَاتُ الْجَانِبَيْنِ بِشِدَّةٍ وَعُنفٍ ، فَاخْتَلَّ تَوَازُنُ الْمَغُولِ وَانْفَصَلَتْ صُفُوفُهُمْ ، وَارْتَدُّوا نَحْوَ التَّلَالِ الْقَرِيبَةِ .

وَهُنَا حَلَّ دَوْرُ الْفُرْسَانِ ، فَانْقَضَ الْأَمِيرُ بَيْبَرْسُ بُفْرَسَانِهِ وَسَطَ قَرَعِ الطُّبُولِ الْقَاصِفِ وَارْتَفَعَ الْهَتَافُ «اللَّهُ أَكْبَرُ» مِنْ بَيْنِ الصُّفُوفِ كَالرَّعْدِ يَشُقُّ عَنَانَ السَّمَاءِ^(١) .

وَاسْتَمَرَّتِ الْمَعْرَكَةُ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى الظَّهْرِ ، وَوَجَدَ الْمَغُولُ أَنْفُسَهُمْ يُلَاقُونَ الضَّرَبَاتِ ، الْوَاحِدَةَ بَعْدَ الْآخَرَى دُونَ رَحْمَةٍ أَوْ شَفَقَةٍ .

وَلَمْ يَتَوَانَ^(٢) «قُطُزٌ» بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ مُطَارَدَةِ الْجَيْشِ الْمَغُولِيِّ الْمَهْزُومِ حَتَّى طَهَّرَ أَرْضَ الشَّامِ مِنْهُ .

لَقَدْ كَانَ يَوْمَ «عَيْنِ جَالوت» يَوْمًا مَجِيدًا... كَانَ يَوْمًا خَالِدًا ، لَا فِي تَارِيخِ مِصْرَ وَحْدَهَا بَلْ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ كُلِّهِ ، وَالْمَدَنِيَّةِ بِأَسْرَاهَا^(٣) . لَقَدْ كَانَ هَذَا السَّيْلُ الْمَغُولِيُّ الْمُدْمَرُ يُنْذِرُ بِالْخَرَابِ وَالذَّمَارِ كُلِّ مَكَانٍ حَلَّ بِهِ .

وَلَوْلَا أَنَّ شَعْبَ مِصْرَ يَا وَلَدِي ، آمَنَ بِنَفْسِهِ ، وَوَقَفَ فِي وَجْهِ الْمَغُولِ لَانْدَفَعُوا إِلَى الْغَرْبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَأُورُوبَا ، مُخَرَّبِينَ مُدْمَرِينَ .

هَكَذَا هُزِمَ الطُّغَاةُ ، وَتَحَطَّمَتِ الْبُغَاةُ ، وَتَشَتَّتَتْ شَمْلُ الْغُزَاةِ ، وَكَانَتْ مِصْرُ مَقْبَرَةً لِلصَّلَيبِيِّينَ وَالْمَغُولِ .

(١) عنان السماء: ما يبدو من السماء للنّاظر إليها.

(٢) لم يتوان: لم يقصر، ولم يفتر.

(٣) بأسرها: المراد: جميعها.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

- ١) لماذا جاء الصليبيون إلى مصر؟ وما موقفُ الشعب المصري من هذه الحملات؟
- ٢) متى استردَّ صلاح الدين بيتَ المقدس من الصليبيين؟
- ٣) ماذا تعرف عن أخلاق صلاح الدين؟
- ٤) كان لانتصار صلاح الدين في حطين رد فعل من الصليبيين. وضح ذلك.
- ٥) ما الدورُ التاريخي الذي لعبته شجر الدر في موقعة المنصورة؟
- ٦) ما نتيجة خطة التظاهر بالانكسار أمام المغول ؟
- ٧) كان صلاحُ الدين الأيوبي شهماً نبيلاً في معاملة الأعداء . وضح ذلك
- ٨) صل من العمود (أ) ما يناسبه من العمود (ب) :

(ب)

(أ)

١. وريثُ عرش الملك الصالح.	أ- مصرُ صخرةٌ تحطمت عليها
٢. أشجعُ امرأة عرفها التاريخُ	ب- توران شاه
٣. أحلامُ الغزاة	ج- شجر الدر
٤. في القرن الثالث عشرَ يخربون العالمَ	د- هُزمَ لويس وسُجنَ
٥. يحب شعب مصر	هـ- انطلق المغولُ
٦. في دار ابن لقمان بالمنصورة	

(١) المقاومة في الإسكندرية والقاهرة

مضت الأيام، وإذا بمصر تُصابُ بِكَارِثَةٍ جَدِيدَةٍ ؛ لَقَدْ جَاءَ إِلَيْهَا نَابِلْيُونُ بونابرت غَازِيًا بجيشٍ كبيرٍ . وَقَبْلَ نُزُولِهِ إِلَى الإسكندريةِ أَرْسَلَ رَسُولَهُ إِلَى السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ كَرِيمٍ زَعِيمِهَا وَقَتْنِدِ ، يُؤَمِّنُهُ عَلَى مَرَكَزِهِ ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ الْبَقَاءَ فِي مَنْصِبِهِ إِذَا هُوَ سَاعَدَ الْجِيُوشَ الْفَرَنْسِيَّةَ عَلَى النُّزُولِ إِلَى أَرْضِ الْوُطَنِ . وَلَكِنَّ هَذَا الْبَطْلَ الْمَصْرِيَّ لَمْ تَخْذَعُهُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ الْبَرَّاقَةُ ، وَأَبَى أَنْ يَتْرَكَ بِلَادَهُ فَرِيسَةً لِهَذَا الْأَجْنَبِيِّ الْغَاصِبِ ، أَبَى أَنْ يُلْقَى سِلَاحُهُ مِنْ يَدِهِ ، وَعَادَ يُكَافِحُ عَلَى رَأْسِ بَقِيَّةِ مَنْ الْأَحْرَارِ الْمَجَاهِدِينَ ، حَتَّى قَبِضَ عَلَيْهِ رِجَالُ نَابِلْيُونِ ، وَأَرْسَلُوهُ لِلْقَاهِرَةِ لِمَحَاكَمَتِهِ .

وَلَمْ يَسْغَ نَابِلْيُونُ إِلَّا أَنْ أَوْحَى إِلَى الْمَجْلِسِ الْعَسْكَرِيِّ الَّذِي شَكَّلَ لِمَحَاكَمَتِهِ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ رَمِيًا بِالرَّصَاصِ ، مَعَ مُصَادَرَةِ أَمْوَالِهِ وَأَمْلَاكِهِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْحَقُّ فِي افْتِدَاءِ نَفْسِهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ رِيَالٍ . وَصَدَرَ الْحُكْمُ كَمَا أَرَادَ نَابِلْيُونُ .

وَاتَّجَهَتْ أَنْظَارُ الْمَصْرِيِّينَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى زَعَمَاءَ يَتَقَوَّنَ بِهِمْ وَيَعْمَلُونَ بِرَأْيِهِمْ وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِمْ ، فَكَانَ السَّيِّدُ عُمَرُ مَكْرَمٍ فِي طَلِيعَةِ هَؤُلَاءِ الْقَادَةِ وَالزُّعَمَاءِ .

وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ مَكْرَمٌ بِالزَّعِيمِ الَّذِي يَنْتَظِرُ دَعْوَةً أَوْ هُتَافًا ، بَلْ رَأَى أَنْ الْوَاجِبَ يُنَادِيهِ إِلَى الْعَمَلِ ، وَإِلَى مُكَافَحَةِ هَذَا الْعَدُوِّ ؛ وَمُجَابَهَةِ هَذَا الْخَطَرِ ، فَتَقَدَّمَ الصُّفُوفَ وَرَاحَ يُذَكِّي الْوَطَنِيَّةَ فِي الصُّدُورِ ، وَيُنَظِّمُ الصُّفُوفَ فِي كُلِّ حَيٍّ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ .

وَأَمَّنْ نَابِلْيُونُ أَنَّهُ أَمَامَ شَعْبٍ عَنِيدٍ ، لَنْ يَسْكُتَ حَتَّى تَعُودَ لَهُ حُرِّيَّتُهُ وَاسْتِقْلَالُهُ ، وَيَجْلُو الْفَرَنْسِيُّونَ عَنْ أَرْضِهِ ، وَأَنَّهُ لَنْ تَهْدَأَ ثَوْرَةُ هَذَا الشَّعْبِ إِلَّا إِذَا تَحَقَّقَتْ مَطَالِبُهُ كَامِلَةً . وَأَدْرَكَ «نَابِلْيُونُ بونابرت» أَنَّهُ لَنْ يَسْتَنْتَبَ^(١) لَهُ الْأَمْرُ وَشَعْبُ مِصْرَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ .

وَعَادَرَ «بُونَابِرْتُ» مِصْرَ خَفِيَّةً فِي أَغْصُطُسَ ١٧٩٩مَ عِنْدَمَا عَلِمَ بِتَدَهُورِ مَرَكَزِ فَرَنْسَا الْحَرْبِيِّ فِي أَوْرُوبَا ، وَأَمَرَ نَابِلْيُونُ أَنْ يَكُونَ «كَلْبِير» قَائِدَ الْفَرَنْسِيِّينَ فِي مِصْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ نَابِلْيُونُ بونابرت قَدْ قَابَلَ «كَلْبِيرَ» قَبْلَ سَفَرِهِ أَوْ اسْتِشَارَهُ فِيمَا فَعَلَ ، فَكَانَ غَيْظُ «كَلْبِير» عَظِيمًا وَغَضَبُهُ شَدِيدًا ، عِنْدَمَا عَلِمَ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ .

(١) يستنتب له الأمر : يستقر ويهدأ.

وَفِي عَهْدِ كَلْبِيرِ عَادَ الْمَصْرِيُّونَ لِلْكَفَاحِ مِنْ جَدِيدٍ فَإِذَا بَثُورَةٌ عَنِيفَةٌ صَادِرَةٌ مِنْ أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ ،
تَنْبَعِثُ مِنَ الْقَاهِرَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً .

وَلَقَدْ وَصَفَ الْمُؤَرِّخُونَ الْأَجَانِبُ كِفَاحَ شَعْبِنَا الْمَصْرِيِّ الْمَجِيدِ فِي هَذِهِ الثَّوْرَةِ بِأَنَّهُ فَاقَ كُلَّ حَدٍّ إِذْ
تَعَاوَنَ الْجَمِيعُ رِجَالًا وَنِسَاءً كِبَارًا وَصِغَارًا وَجَادَ كُلُّ فَرْدٍ بِأَكْثَرِ مِمَّا يَسْتَطِيعُ . فَهَذِهِ سَيِّدَةٌ تَجُودُ بِحَلِيَّهَا ...
وَهَذِهِ عَذْرَاءُ تَجُودُ بِمَهْرِهَا ... وَهَذَا ثَرِيٌّ يَجُودُ بِأَرْضِهِ ، وَهَذَا مُوَاطِنٌ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَرُوحِهِ . لَقَدْ قَامَ أَهْلُ
الْقَاهِرَةِ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُومَ بِهِ ، فَقَدْ صَنَعُوا الْقَذَائِفَ مِنْ حَدِيدِ الْمَسَاجِدِ ، حَتَّى النِّسَاءُ لَمْ تَكْتَفِ
الْوَحْدَةَ مِنْهُنَّ بِالْقِيَامِ بِخِدْمَةِ الثُّوَرِ وَإِعْدَادِ الطَّعَامِ لَهُمْ ، بَلْ كُنَّ يَأْخُذْنَ جُنُودَ فَرَنْسَا قَهْرًا إِلَى الْمَنَازِلِ الْقَرِيبَةِ
لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ وَدَفْنِهِمْ تَحْتَ الثَّرَى .

بِهَذِهِ الْحَمَاسَةِ الشَّدِيدَةِ ، وَالتَّعَاوُنِ الْعَظِيمِ ، وَالْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ الْمُشْتَعَلَةِ فِي الصُّدُورِ ، دَافِعَ
الْمُوَاطِنُونَ عَنِ الْقَاهِرَةِ دِفَاعًا مَجِيدًا مُشْرِفًا ، وَكَتَبُوا بِدِمَائِهِمِ الطَّاهِرَةِ قِصَّةَ الْبَطُولَةِ الْحَقَّةِ وَصَمَدُوا
لِلْمُسْتَعْمَرِينَ سَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَلَكِنَّ الْعَاصِبَ الْمُسْتَعْمَرَ كَانَ قَدْ حَاصَرَ مَنَافِذَ الْقَاهِرَةِ بِالْمَدَافِعِ النَّقِيلَةِ ،
وَحَالَ دُونَ وَصُولِ الْأَغْذِيَةِ إِلَى جَمَاهِيرِ الشَّعْبِ ، حَتَّى خَيَّمَ شَبَحُ الْجُوعِ عَلَى أَهْلِ الْقَاهِرَةِ جَمِيعًا وَعِنْدَئِذٍ
حَمَلَ الْمُسْتَعْمَرُ حَمْلَتَهُ عَلَى الْمَجَاهِدِينَ وَالْمُكَافِحِينَ .

وَمَعَ ذَلِكَ ظَلَّ الشَّعْبُ ثَائِرًا ، لَا الْجُوعُ يُخِيفُهُ ، وَلَا الْمَدَافِعُ تُرْهِبُهُ .

(٢) الْمَقَاوِمَةُ الشَّعْبِيَّةُ فِي مَنَاطِقِ الْبَحْرِ الصَّغِيرِ

لَمْ تَقْتَصِرْ مَقَاوِمَةُ الْمَصْرِيِّينَ لِحُنُودِ فَرَنْسَا عَلَى أَهْلِ الْقَاهِرَةِ وَحْدَهَا ، بَلْ وَجَدَ الْفَرَنْسِيُّونَ مِنْ شَعْبِ
مِصْرَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَا وَجَدُوهُ مِنْ أَهْلِ الْقَاهِرَةِ .

لَقَدْ انْدَلَعَتْ ثَوْرَاتٌ مَحَلِّيَّةٌ كَبِيرَةٌ لَا حَدَّ لَهَا ، وَلَا حَصَرَ .

وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ الْمَنَاطِقِ الَّتِي أَبَدَتْ مَقَاوِمَةً شَعْبِيَّةً مَجِيدَةً يَذْكُرُهَا التَّارِيخُ فِي فَخْرٍ وَإِعْجَابٍ ،
مِنْطَقَةُ الْبَحْرِ الصَّغِيرِ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ الْمَنْصُورَةِ وَبُحَيْرَةِ الْمَنْزَلَةِ ، تَحْتَ قِيَادَةِ زَعِيمِهَا الشَّعْبِيِّ «حَسَنَ طُوبَارِ»
هَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمِ الَّذِي تَرَدَّدَ اسْمُهُ فِي رِسَائِلِ «بُونَابَرْت» وَمَذَكَرَاتِ قُوَّادِهِ، كَرَمَزٍ لِلْمَقَاوِمَةِ الشَّعْبِيَّةِ الْبَاسِلَةِ
الَّتِي لَقِيَهَا الْفَرَنْسِيُّونَ فِي أَرْضِ وَادِي النَّيْلِ .

كَانَ «حَسَنُ طُوبَارِ» زَعِيمًا لِمِنْطَقَةِ الْمَنْزَلَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ الزَّعَامَةُ أَيْضًا عَلَى سُكَّانِ شَوَاطِئِ هَذِهِ
الْبُحَيْرَةِ ... وَكَانَتْ لَهُ مَرَاقِبُ صَيِّدٍ كَثِيرَةٌ .

وَلَمْ تَكُنْ تَبْدَأُ حَمْلَةً بُونَابِرْتِ عَلَى هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ حَتَّى انْتَصَلَ «حَسَنُ طُوبَار» بِمَشَايخِ الْقَرْىِ وَالْبِلَادِ وَأَهْلِهَا ، وَرَاحَ يَنْظُمُ صُفُوفَهُمْ ، وَيُثِيرُ الْحَمِيَّةَ فِي صُدُورِهِمْ ، وَيُحَرِّكُ فِيهِمْ رُوحَ الْوَطَنِيَّةِ الْمَتَأَصِّلَةِ فِي أَعْمَاقِ قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ لِلْمَقَاوِمَةِ وَالصُّمُودِ ، أَمَامَ هَذَا الْعَدُوِّ الدَّخِيلِ الْمُسْتَعْمِرِ .

حَاوَلَ الْفَرَنْسِيُّونَ أَنْ يَجْتَذِبُوهُ لَصُفُوفِهِمْ ، فَمَا ضَعُفَ وَمَا لَانَ فَاضْطُرَّ الْفَرَنْسِيُّونَ أَنْ يُزْهِيُوهُ وَيُرْهِبُوهُ رِجَالَهُ فَتَحَرَّكَتْ حَمَلَتُهُمْ وَاتَّجَهَتْ إِلَى بَلَدَةِ «الْجَمَالِيَّة» فِي هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ عَنْ طَرِيقِ الْبَحْرِ .

وَمَا أَنْ وَصَلَ الْفَرَنْسِيُّونَ بِمَحَادَاتِهَا حَتَّى وَحَلَتْ سَفُنُهُمْ فِي بَحْرِ أَشْمُونِ مِنْ قِلَّةِ الْمِيَاهِ فِيهِ ، فَانْتَهَزَ الشَّعْبُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَرَاحَ يُمَطِّرُهُمْ وَابِلًا مِنَ الرَّصَاصِ وَالْأُخْجَارِ .

وَنَشَبَتْ مَعْرَكَةٌ عَنِيفَةٌ دَامَتْ خَمْسَ سَاعَاتٍ ، وَانْتَهَتْ بِنَصْرِ الشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ ، وَانْسَحَبَ الْفَرَنْسِيُّونَ ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنُوا مِنْ إِشْعَالِ النَّارِ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ وَإِحْرَاقِهَا .

كَانَ لَا نَتِصَارِنَا فِي الْمَعْرَكَةِ يَا وَلَدِي أَثَرٌ عَظِيمٌ ، فَقَدْ رَفَعَ ذَلِكَ الرُّوحَ الْمَعْنَوِيَّةَ لِهَذَا الشَّعْبِ النَّائِرِ ، وَشَجَّعَهُ عَلَى الْاسْتِمْرَارِ فِي الْمَقَاوِمَةِ ، وَزَادَهُ اتِّقَافًا حَوْلَ «حَسَنِ طُوبَار» .

وَحَاوَلَ الْجَنَرَالُ «فِيَال» بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَجْتَذِبَ إِلَيْهِ حَسَنَ طُوبَارَ مَرَّةً ثَانِيَةً ... وَلَكِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْكَبِيرَ رَفَضَ هَذَا الْعَرَضَ ، هَكَذَا وَقَفَ شَعْبُنَا الْمَجِيدُ فِي إِصْرَارٍ وَعَزْمٍ ، أَمَامَ جَيْشِ فَرَنْسَا وَقَوَادِمَا وَجُنُودِهَا ... وَقَفَ بِشَجَاعَتِهِ .. وَقَفَ بِإِيمَانِهِ بِحَقِّهِ وَبِثِقَتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَقَفَ بِصَبْرِهِ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ ، فَكَتَبَ لِنَفْسِهِ النُّصْرَ وَالْبَقَاءَ وَالْخُلُودَ .

(٣) الْمَقَاوِمَةُ الشَّعْبِيَّةُ فِي الصَّعِيدِ

(أ) فِي نَجْعِ الْبَارُودِ :

بَعْدَ أَنْ نَزَلَ الْفَرَنْسِيُّونَ أَرْضَ مِصْرَ وَتَغَلَّغُوا فِيهَا ، وَسَيَّطَرُوا عَلَى أَجْزَاءٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا ، سَارَتْ سَفُنُهُمْ فِي نَهْرِ النِّيلِ ، مُتَّجِهَةً نَحْوَ الصَّعِيدِ ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى قَرْيَةٍ جَنُوبِيٍّ قَنَا تُسَمَّى «نَجْعُ الْبَارُودِ» .

وَمَا إِنْ رَأَى أَهْلُ الْبَلَدَةِ سُفْنَ الْعَدُوِّ حَتَّى غَضِبُوا وَثَارُوا ، وَانْدَفَعُوا نَحْوَهَا اِنْدِفَاعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، بِرَغْمِ أَنَّ عِدَدَ هَذِهِ السُّفَنِ قَدْ بَلَغَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَفِينَةً مَحْمَلَةً بِالذَّخِيرَةِ وَالْأَغْذِيَةِ .

نَزَلَتْ جُمُوعُ النَّاسِ الْغَاضِبَةُ فِي مَاءِ النِّيلِ ، سَابِحَةً نَحْوَ سُفَنِ الْعَدُوِّ ، وَوَصَلُوا إِلَيْهَا وَهَجَمُوا عَلَيْهَا ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى مَا فِيهَا مِنْ ذَخَائِرٍ . وَاسْتَحْدَمُوا مَا أَخَذُوهُ مِنْ بَنَادِقٍ فِي مُهَاجِمَةِ الْبَاخِرَةِ الَّتِي كَانَتْ

تَحْمَلُ الْقَائِدَ الْفَرَنْسِيَّ ، حَتَّى جَنَحَتْ إِلَى الشَّاطِئِ ، فَتَصَاعَدَتْ صَيَحَاتُ الْجَمَاهِيرِ الْغَاضِبَةِ ، وَتَوَالَتْ طَلَقَاتُ الرِّصَاصِ تُصِيبُ جِسْمَ السَّفِينَةِ .

وَلَكِنَّ الْقَائِدَ الْفَرَنْسِيَّ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَنْزُكَ سَفِينَتَهُ لِلثَّوَارِ ، فَأَشْعَلَ النَّارَ فِي مَخْزَنِ الْبَارُودِ وَتَصَاعَدَتْ أَلْسِنَةُ النَّيرانِ فِي الْجَوِّ .

وَنَزَلَ الثَّوَارُ إِلَى مَاءِ النِّيلِ فِي أَغْصَابِ الْقَائِدِ الْفَرَنْسِيِّ .. وَأَدْرَكَهُ أَحَدُ الشُّبَّانِ الْأَشِدَّاءِ وَهُوَ يُصَارِعُ الْمَوْجَ ، ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى الشَّاطِئِ وَقَدْ أَنْهَكَهُ^(١) الْإِعْيَاءُ . وَفَوْقَ الشَّاطِئِ ، لَفَظَ هَذَا الْقَائِدَ الْفَرَنْسِيَّ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ ، وَانْتِقَامًا مِمَّا حَدَثَ تَتَابَعَتْ هَجَمَاتُ الْفَرَنْسِيِّينَ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ مِنْ أَسْوَانَ إِلَى قُوصَ ، وَأَخَذَتْ الثَّوَارُ تَغْزُو الصَّعِيدَ كُلَّهُ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ وَدَبَّتْ حَرَكَاتُ الْمَقَاوِمَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

(ب) فِي أَبْنُود :

وَعِنْدَ بَلَدَةِ «أَبْنُود» دَارَتْ مَعْرَكَةٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ قُوَاتِ الشَّعْبِ وَالْجُنُودِ الْفَرَنْسِيِّينَ . وَقَفَ وَسَطَ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ شَابٌّ قَوِيٌّ يُسَمَّى «أَحْمَدُ الْأَبْنُودِي» يَدْعُو إِلَى الصُّمُودِ وَمُقَاوِمَةِ الْعَدُوِّ قَائِلًا :

لَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَثَّارَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفَرَنْسِيِّينَ الَّذِينَ جَاءُوا لِأَغْتِصَابِ أَرْضِنَا وَبِلَادِنَا ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ مَوْتِي وَنِهَائِي .

فَمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدَةِ إِلَّا أَنْ صَافَحُوهُ وَعَاهَدُوهُ عَلَى الْمُقَاوِمَةِ وَالْكَفَّاحِ .

وَخَرَجَ «أَحْمَدُ الْأَبْنُودِي» وَمَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ رِجَالِ الْبَلَدَةِ لِمُوَاجَهَةِ الْعَدُوِّ الْقَادِمِ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ أَمْسَكَ كُلُّ مِنْهُمْ بِمَدْفَعٍ حَدِيثٍ مِمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ أَهْلُ الصَّعِيدِ مِنَ الْجُنُودِ الْفَرَنْسِيِّينَ .

وَجَاءَ الْجُنُودُ الْفَرَنْسِيُّونَ بِجُنُودٍ وَعَتَادٍ كَثِيرٍ ، فَتَحَصَّنَ «أَحْمَدُ الْأَبْنُودِي» وَبَعْضُ رِفَاقِهِ فِي مَوْقِعٍ حَصِينٍ بِالْبَلَدَةِ ، وَرَاحُوا يُطْلِقُونَ الرِّصَاصَ عَلَى الْعَدُوِّ الْقَادِمِ نَحْوَهُمْ .. فَمَا كَانَ مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ إِلَّا أَنْ أَشْعَلُوا النَّارَ فِي مَسَاكِنِ الْبَلَدَةِ فَأَصْبَحَتْ كُنُتَلَةً نِيرَانٍ وَدُخَانٍ .

وَوَظَلَ «أَحْمَدُ الْأَبْنُودِي» يُقَاوِمُ وَيُقَاوِمُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ ، وَسَطَ النَّيْرَانِ وَالْدُخَانِ ، وَكَانَ قَدْ احْتَمَى بِقَصْرٍِ مَهْجُورٍ لِأَحَدِ الْمَمَالِيكِ وَبِمَسْجِدٍ قَرِيبٍ مِنْهُ ... وَبَعْدَ فَنْرَةٍ غَيْرِ قَصِيرَةٍ تَخَوَّرَ^(٢) قُوَى الْفَرَنْسِيِّينَ وَتَكَفَّ

(١) أَنْهَكَهُ الْإِعْيَاءُ: غَلَبَهُ التَّعَبُ وَالْجَهْدُ.

(٢) تَخَوَّرَ: تَضَعَفَ.

مدافعهم عن الضرب ويشرعون في الانسحاب ، وقبل انسحابهم يشعلون بعض الفتائل ، ثم يلقونها على القصر والمسجد .

ونصب الفرنسيون مدافع جديدة ، وشرعوا يشنون^(١) حرباً طاحنة على الشعب . وفي هذه المرة كانت المدافع جاهزة بحيث لم يستطع الأهالي أن يصمدوا أمامها طويلاً .

وأحدثت الطلقات ثغرات في المسجد والقصر ، فتسرب منها الجنود الفرنسيون إلى الداخل ، وأشد ما كانت دهشتهم عندما وجدوا أنفسهم محصورين بستار من الدخان أعمى أبصارهم ، وأذهل عقولهم فأصابهم الإغشاء وسقطوا على الأرض كما تتساقط أوراق الخريف . وصعد «أحمد الأببودي» إلى المئذنة وفي يده مدفعه ، وأخذ في وسط النيران التي تحيط به من كل جانب يرسل الطلقات بعد الطلقات ، وهو يقول : الله أكبر ... الله أكبر .

وانقضى النهار وأحمد الأببودي معلق فوق المئذنة ، وهو يستدد الضربات إلى الفرنسيين . وعندما حل الليل تسلل الأببودي من المسجد ، بعد أن لبس ثياباً أخرى وترك الأولى في المئذنة . وعندما جاء الصباح في اليوم التالي ، خيل لأحد الجنود الفرنسيين أن أحمد الأببودي واقف في المئذنة لا يتحرك ، فوجد في نفسه الشجاعة للصعود إلى المئذنة للقبض عليه ، وأشد ما كانت دهشته عندما أدرك أن هذه ثيابه وأنه قد انسحب .

هذه صورة من صور مقاومة الشعب المصري لجيش فرنسي جاء يحتل بلده .

(١) يشن حرباً: يثيرها من كل ناحية.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

- (١) لماذا لم يستجب محمد كريم لرغبة (نابليون)؟
- (٢) من البطل المصرى الذى التف حوله الشعب بعد محمد كريم؟
- (٣) من بطل المقاومة فى منطقة البحر الصغير؟
- (٤) وضح بطولة المواطن الشاب "أحمد الأبنودى".
- (٥) **تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين :**
 - (أ) قائد الثورة الشعبية فى القاهرة هو:

(محمد كريم - حسن طوبار - عمر مكرم - أحمد الأبنودى).
 - (ب) أحمد الأبنودى بطل الثورة الشعبية فى:

(الإسكندرية - الصعيد - القاهرة - منطقة البحر الصغير)
- (٦) **صل من العمود (أ) ما يناسبه من العمود (ب) :**

(ب)	(أ)
١. بقتل محمد كريم رمياً بالرصاص	أ- أرسل نابليون إلى
٢. علم الجهاد بعد محمد كريم	ب- أوعز نابليون إلى المحكمة
٣. محمد كريم يؤمنه إذا هو ساعده	ج- حمل عمر مكرم
٤. فى منطقة البحر الصغير	د- حسن طوبار زعيم الثورة
٥. فى الصعيد	هـ- أحمد الأبنودى زعيم شعبى

(٧) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :

- (أ) رفض محمد كريم أن يفتدى نفسه بالمال. ()
- (ب) خدع أحمد الأبنودى الفرنسيين بترك ثيابه على المئذنة. ()

الفصل الخامس — إرادة الشعب وعزل الوالى التركى «خورشيد» —

كَانَ شَعْبُنَا الْمَصْرِىُّ يَتَمَسَّكُ بِحُرِّيَّتِهِ وَحُقُوقِهِ ، كَانَ يَرْفُضُ أَنْ يَسْتَنْدِيَ حَاكِمُهُ أَوْ يَسُوقَهُ كَمَا تُسَاقُ الْأَنْعَامُ ، كَانَ يَقِفُ لَهُ بِدَايَةِ الْأَمْرِ نَاصِحًا مُحَدِّثًا ، فَإِذَا لَمْ يَسْتَمِعْ هَذَا الْحَاكِمُ إِلَى نَصِيحَتِهِ أَوْ تَحْذِيرِهِ ، ثَارَ عَلَيْهِ وَتَمَرَّدَ وَأَنْزَلَهُ مِنْ عَرْشِهِ وَسَلَبَهُ مُلْكُهُ وَسُلْطَانُهُ . وَقِصَّةُ «خورشيد» مع شعب مصر عام ١٨٠٥م وَمَا قَبْلَهَا تُبَيِّنُ لَكَ شَجَاعَةَ شَعْبِنَا وَقُوَّةَ إِرَادَتِهِ .

كَانَ «خورشيد» وَالْيَا فَاسِدًا ظَالِمًا حَاكِمًا مُسْتَنْدِيًا قَاسِيًا ، لَا يُحِبُّ شَعْبَهُ وَلَا يَعْرِفُ الرَّحْمَةَ بِالنَّاسِ ، كَانَ كُلُّ هَمِّهِ فِي الْحَيَاةِ أَنْ يَجْمَعَ الْمَالَ الْوَافِرَ لِيُنْفِقَهُ عَلَى مَلَائِهِ وَرَغَبَاتِهِ الشَّرِيرَةِ الْفَاسِدَةِ . وَكَانَ يَسْتَعِينُ فِي حُكْمِهِ لِشَعْبِنَا الْمَجِيدِ بِجُنُودٍ غَيْرِ مِصْرِيِّينَ ، لَا هَمَّ لَهُمْ غَيْرُ النَّهْبِ وَالسَّلْبِ وَالْإِضْرَارِ بِالنَّاسِ .

غَضِبَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْمَالِهِ الشَّرِيرَةِ وَتَصَرُّفَاتِهِ السَّيِّئَةِ ، حَتَّى بَلَغَ الْغَضَبُ غَايَتَهُ وَبَدَأَتِ النُّفُوسُ تَتَوَّرُّ وَتَغْلَى كَمَا يَغْلَى الْمَاءُ عَلَى النَّارِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَقَعَ مِنْ خُورَشِيدَ وَجُنُودِهِ وَقَعَةٌ وَاحِدَةٌ ، لِيُعْلَنَ الشَّعْبُ غَضَبَتَهُ وَثَوْرَتَهُ ، وَعِصْيَانَهُ . وَعِنْدَئِذٍ يُنْزَلُهُ الشَّعْبُ عَنْ عَرْشِهِ ، وَيُجَرِّدُهُ مِنْ جَبْرُوتِهِ^(١) وَسُلْطَانِهِ ، ثُمَّ يُلْقَى بِهِ بَعِيدًا عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ .

وَوَقَعَتِ الْوَقَعَةُ فِي مَايُو سَنَةِ ١٨٠٥ ، عِنْدَمَا اعْتَدَى جُنُودُ هَذَا الْوَالِي عَلَى الْأَهَالَى اعْتِدَاءً مُؤْلَمًا . وَانْدَفَعُوا إِلَى الْحَوَانِيتِ فَتَهَبُّوهَا ، وَإِلَى الْمَوَاطِنِ الْمَارِيْنَ فِي الشُّوَارِعِ وَالطَّرِيقَاتِ ، فَسَلَبُوا مَا كَانَ فِي جُيُوبِهِمْ مِنْ مَالٍ ، حَتَّى الْبَائِعُ الْجَائِلُ حَطَفُوا بِضَاعَتَهُ وَأَكَلُوا ثِمَارَهُ وَفَاكِهَتَهُ .

شَعَرَ شَعْبُ مِصْرَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشَّرَفِ وَلَا مِنَ الْكَرَامَةِ أَنْ يَسْكُتَ عَنْ هَذَا الْفَسَادِ أَوْ أَنْ يَقْبَلَ هَذَا الْعَارَ ، فَتَأَرَّتْ جُمُوعُهُ وَانْطَلَقَتْ فِي الشُّوَارِعِ وَالْمِيَادِينِ شَبَابًا وَشَبُوحًا ، صِغَارًا وَكِبَارًا يَهْتَفُونَ بِسُقُوطِ «خورشيد» وَجُنُودِهِ .

وَلَقَدْ لَجَأَتْ جَمُوعُ الشَّعْبِ النَّاثِرَةِ إِلَى الْمَشَايخِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ لَهُمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ النَّاسِ ، وَكَانُوا مَوْضِعَ احْتِرَامِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ . وَلِهَذَا وَثَقَتْ بِهِمْ طَوَائِفُ الشَّعْبِ وَالثَّقَتُ حَوْلَهُمْ ، وَرَضِيَتْ بِقِيَادَتِهِمْ وَرِعَامَتِهِمْ .

(١) جبروته: غطرسته واستبداده أو كبره وطغيانه.

وَحَوْلَ دارِ المحكمةِ العُلَيَّا تَجَمَّعَتِ جُمُوعُ الشَّعْبِ وطوائفه ، مَعَ المشايخ والعلماء ، لتقديم مطالبهم إلى هذا والى الأحمق^(١) .

وتتلخَّص هذه المطالبُ فى خُروج الجنودِ الأَجانِبِ من البلادِ ، وَعَوْدَةُ المواصلاتِ بَيْنَ الوَجْهَيْنِ البَحْرِيِّ والقِبْلِيِّ ، مَعَ عَدَمِ فرضِ ضرائبَ جَدِيدَةٍ مِنْ غَيْرِ مُوَافَقَةِ العلماءِ وزعماءِ الشعبِ . وَأرْسَلَتْ هذه المطالبُ إلى (خُورْشِيدِ) ، حَيْثُ كَانَ متحصَّنًا فى قَلْعَتِهِ . وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يُدْرِكَ حَقِيقَةُ الأمرِ ، ويمنَحَ الشعبَ حُقُوقَهُ ، وَيَخْضَعَ لِرَغَبَاتِهِ العَادِلَةِ ضَحِكَ وَسَخِرَ وَأَنكَرَ حَقَّ الشعبِ فى هذه المطالبِ .

ولَمَّا عَلِمَ العلماءُ والزعماءُ عَدَمَ قبولِ والى مطالبهم اِزْدَادُوا غَضَبًا وَثُورَةً ، وَقَرَّرُوا خَلْعَهُ ، وَأَعْلَنُوا قَرَارَهُمُ لِلجُمُوعِ الكثيرةِ التى كانتْ تَتَزَلَّحُ كُلَّ يَوْمٍ حَوْلَهُمْ ، فَمَا كَانَ مِنَ الشعبِ النَّاثِرِ إِلَّا أَنْ قَرَّرَ مُحَاصِرَةَ خُورْشِيدَ فى قَلْعَتِهِ .

واندفعَتِ الجماهيرُ يا ولدى مُزَوَّدَةً بالسَّلاحِ والبنادقِ تحاصرُ خورشيد فى قلعته . أَبَتْ طوائفُ الشَّعْبِ أَنْ تَتْرَكَ مَكَانَهَا حَتَّى يَخْضَعَ خورشيدُ لِإِرَادَتِهَا وَمَطَالِبِهَا أَوْ يَرْحَلَ عَنْ هذه الدِّيارِ ، وَطَالَ حِصَارُ الشعبِ للقلعةِ ، فلم يجدْ خورشيدُ مَفْرَا مِنْ أَنْ يُرْسَلَ رِسُولُهُ مَرَّةً ثَانِيَةً لِيَقُولَ للسَّيِّدِ عُمَرَ مَكْرَم :

كَيْفَ لَا تُطِيعُونَ أَوْلَى الأَمْرِ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالُ الدِّينِ ؟
فَرَدَّ السَّيِّدُ عُمَرَ مَكْرَم قَائِلًا :

نَحْنُ لَا نُطِيعُ إِلَّا الْوَالِيَّ الْعَادِلَ ، وَخُورْشِيدُ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنِ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ . أَيَّةُ طَاعَةٍ تَجِبُ عَلَى الشعبِ لِهَذَا الْوَالِيِّ الَّذِي اسْتَبَدَّ وَطَغَى؟ أَيَّةُ طَاعَةٍ تَجِبُ عَلَى الشعبِ لِهَذَا الْوَالِيِّ الظَّالِمِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ غَيْرَ السُّلْبِ وَالنَّهْبِ وَالتَّعْذِيبِ ؟ أَيَّةُ طَاعَةٍ تَجِبُ عَلَى شَعْبٍ سَلَبَهُ هَذَا الْوَالِيُّ الْأَحْمَقُ حُرِّيَّتَهُ وَكَرَامَتَهُ ؟ وَأخِيرًا صَاحَ السَّيِّدُ عُمَرَ مَكْرَم فى وَجْهِهِ قَائِلًا :

« قُلْ لَخُورْشِيدٍ : إِنَّهُ لَيْسَ الْوَالِيَّ الَّذِي تَجِبُ عَلَى الشعبِ طَاعَتُهُ » .

وظَلَّ الشعبُ يا ولدى يحاصرُ (خُورْشِيدَ) فى قَلْعَتِهِ ، مُعْلِنًا أَنَّهُ لَنْ يَتَخَلَّى عَنْ مَطَالِبِهِ وَلَوْ كَرِهَ

(١) الأحمق: قليل العقل.

الوالى وجنوده .

وأمام إصرار الشعب وإرادته . وجد سلطان تركيا ، أنه لا مفر من خلع هذا الوالى الظالم تهدئة لهذا الشعب الغاضب التأثير .

وأرسل هذا السلطان إلى خورشيد يقول له :

لقد أدركنا غضب الشعب المصرى وتمردده عليك وحصاره لقلعتك وأدركنا أنه من الخطأ تأييدكم فى سياستكم التى أثارت الشعب ، ورأينا أنه لا بد من عزلكم ، تحقيقاً لرغباته واستجابة لمطالبه .

هذه صفة من صفات شعبنا التى يجب أن تباهى بها وتفاخر .

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

(١) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :

- أ- يرفض الشعب المصرى الخضوع والاستسلام للطغاة . ()
- ب- كان خورشيد حاكما عادلا . ()
- ج- لم يستجب السلطان التركى لمطالب الشعب المصرى . ()

(٢) تخير الصواب مما بين القوسين :

- أ- لجأت جموع الشعب إلى (التجار والصناع . الجنود والضباط . المشايخ والعلماء) ليتحدثوا باسمهم أمام والى .
- ب- تَجَمَّعَتْ جُمُوعُ الشَّعْبِ وَطَوَائِفُهُ حَوْلَ دَارِ (المحكمة العُلْيَا . الحكمة . القضاء العالى) لتقديم مطالبهم إلى خورشيد.
- ج- كان همُّ خورشيد فى الحياة (جمع المال . تعيين أقاربه . تحصيل العلوم) .
- ٣) لماذا ثارت مصرُ على والى التركى «خورشيد»؟
- ٤) ما موقفُ (عمر مكرم) من خورشيد؟
- ٥) ماذا فعلت جماهير الشعب المصرى لإجبار خورشيد على الخضوع لإرادتها ؟
- ٦) لماذا عزل السلطان التركى واليه فى مصر؟

وحملة فريزر عام ١٨٠٧م

أُحْدِثُكَ الْيَوْمَ عَنْ شَعْبٍ رَشِيدٍ .. هَذَا الشَّعْبُ الْمَجِيدُ الَّذِي أَبَى فِي عَامِ ١٨٠٧م أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِجَيْشِ أَكْبَرِ دَوْلَةٍ فِي أَوْروْبَا وَقَتْنَدِ أَبَى أَنْ يَخْضَعَ أَوْ يَلِينَ ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ حَامِيَةَ رَشِيدٍ لَمْ تَكُنْ تَزِيدُ عَلَى سَبْعِمِائَةٍ جَنْدِيٍّ.

وَصَلَتْ الْحَمْلَةُ الْإِنْجِلِيزِيَّةُ إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، بِقِيَادَةِ «فَرِيزَر» فِي مُنْتَصَفِ مَارَسِ ١٨٠٧م فَمَا كَانَ مِنْ «أَمِينِ أَغَا» مُحَافِظِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَقَتْنَدِ ، إِلَّا أَنْ سَلَّمَهَا لَهُمْ ، فَقَدْ كَانَ ثَرْكِي الْأَصْلِ ، لَا يَجْرِي فِي عُرُوقِهِ الدَّمُ الْمِصْرِيُّ الْأَبْيُّ الْأَصِيلُ . وَمَا إِنَّ وَصَلَ نَبَأُ الْجَيْشِ الْإِنْجِلِيزِيِّ الرَّاحِفِ نَحْوَ رَشِيدٍ إِلَى أَسْمَاعِ مُحَافِظِ رَشِيدٍ ، حَتَّى جَمَعَ الْعُلَمَاءَ وَالْأَعْيَانَ وَالْأَدْبَاءَ وَالتُّجَّارَ وَكِبَارَ رِجَالِ الْحَامِيَةِ وَمَخْتَلَفِ طَوَائِفِ الشَّعْبِ ، فِي مُؤْتَمَرٍ لِلتَّشَاوُرِ فِي أَمْرِ هَذَا الْبَلَاءِ الرَّاحِفِ نَحْوَهُمْ وَقَدْ أُفْتُتِحَ الْمُؤْتَمَرُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ يَقُولُ فِيهَا :

«يَا أَهْلَ رَشِيدٍ .. هَذَا يَوْمُكُمْ وَتِلْكَ دِيَارُكُمْ ، فِدَافِعُوا عَنْهَا بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَصِيرَ مِصْرَ كُلِّهَا فِي أَيْدِيكُمْ . أَنْتُمْ أَمَامَ أَمْرَيْنِ ... إِمَّا أَنْ تَصْنُمُدُوا لِعَدُوِّكُمْ ، وَتُسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ وَطَنِكُمْ دِفَاعًا عَنْ دِيَارِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَإِمَّا أَنْ تَكْتَبُوا لَأَنْفُسِكُمْ الذُّلَّ وَالْعَارَ وَالْهَوَانَ وَهَذَا لَا أَرْضَاهُ لَكُمْ» .

فَصَاحَتْ جُمُوعُ الشَّعْبِ فِي حِمَاسَةٍ زَائِدَةٍ :

الموتُ فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ غَايَتُنَا ، وَالْكَفَاحُ مِنْ أَجْلِهِ رِسَالَتُنَا .

وَبَعْدَ مُنَاقَشَاتٍ اسْتَقَرَّ رَأْيُ الْجَمِيعِ عَلَى الْمَقَاوِمَةِ حَتَّى الْمَوْتِ ، وَانْطَلَقَ الْأَدْبَاءُ يُلَقِّنُونَ الشَّعْبَ الْأَنَاشِيدَ الْوَطَنِيَّةَ الَّتِي تُرَدِّدُهَا الْجَمَاهِيرُ .

وَقَدْ تَجَاوَبَ صَدَى هَذِهِ الْأَنَاشِيدِ فِي أَنْحَاءِ رَشِيدٍ ، فَبَعَثَتْ الْحِمَاسَةُ فِي النُّفُوسِ ، وَاسْتَعَدَّ النَّاسُ لِلْيَوْمِ الْفَاصِلِ فِي تَارِيخِهِمْ اسْتِعْدَادًا كَبِيرًا .

وَأَرْسَلَ مُحَافِظُ رَشِيدٍ رُسُلَهُ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ لِيُخْبِرُوهُ بِمَوْعِدِ قُدُومِ جَيْشِ الْإِنْجِلِيزِ الزَّاحِفِ نَحْوَهُمْ ، لِيَكُونَ الشَّعْبُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلِقَائِهِ .

وَعِنْدَمَا رَأَى هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ جَيْشَ الْعَدُوِّ عَلَى بُعْدِ أَرْبَعَةِ كِيلُو مِتْرَاتٍ مِنَ الْمَدِينَةِ انْطَلَقُوا مُسْرِعِينَ بِجِيَادِهِمْ إِلَى الْمُحَافِظِ لِيُخْبِرُوهُ الْخَبَرَ .

ولم تمض لحظات حتّى انطلقَ المَنادُونَ فى شوارعِ رَشِيدَ يَأْمُرُونَ بالاستعداد والاختباء فى المنازلِ والمتاجر حتى تحينَ اللحظة المناسبةُ ، وفى دقائقَ معدوداتٍ كانتْ شوارعُ المدينةِ خاليةً من كلِّ نشاطٍ وحركةٍ .

وَزَعَتْ الجنودُ المِصرِيَّةُ مَعَ المُجَاهِدِينَ من أَهْلِ رَشِيدَ على المنازلِ الواقعةِ فى شارعِ دهليزِ الملكِ والمُشرِقةِ عليه ، باعتباره المَدْخَلِ الرئِيسى للمدينةِ فهو يسيُرُ مستقيماً حتى ينتهى إلى حدودِها الشرقيَّةِ على ضَفَّةِ النيلِ كما صَدَرَتِ الأوامِرُ بفتحِ البابِ الغربى المُتَّصِلِ بدهليزِ الملكِ فَفُتِحَ على مِصرَاعَيْهِ ، انسَحَبَ الجنودُ من خَلْفِ الأسوارِ إلى داخلِ المدينةِ .

وعندَ الظُّهرِ دخلَ الجنودُ الإنجليزُ من بابِ المدينةِ آمِنينَ . وكان الطريقُ الرملِىُّ بين الإسكندرية ورشيدَ قد أَنهَكَهُم ، وكانَ اليومُ شديدَ القِيظِ على الرِّغَمِ من فصلِ الربيعِ .

ولم يعترضْ أحدٌ طريقَ العُزَّاةِ المُعْتَدِينَ ، بل جالُوا فى المدينةِ ولم يُصادِفُوا فيها إنساناً وراقَهُم ما يُشاهدون فى رَشِيدَ من حدائقِ فيحاء . ورأوا أَوَّلَ مَرَّةٍ مِياهَ النيلِ العذبةِ الجاريةِ وضَفَّتِيهِ المِزْدَانَتَيْنِ بِالخُضْرَةِ الرَّاهِيَةِ ، وقد قامتْ أَشجارُ النخيلِ الباسِقاتُ على جانبيهِ ، فاتَّخَذُوا من شارعِ دهليزِ الملكِ والشوارعِ الأخرى مكاناً للاستِراحةِ ، بعد أن اطمأنُّوا لعدمِ وجودِ المقاومةِ . خلَعُوا أَسلِحَتَهُم وتحرَّروا من أَمْنَتِهِم واستكانوا إلى الدَّعةِ وأخذوا يَتَسامَرُونَ وَيَتَصاحُكُونَ . وقد انتشروا فى شوارعِ المدينةِ طِبْقاً للخُطَّةِ المَرسُومَةِ . يَسْتَظِلُّونَ بِظِلِّها الظَّلِيلِ .

وَفَجأةً انهالَ عليهم الرِّصاصُ من شُرُفاتِ المنازلِ ونوافذِها يَحْصُدُهُم حَصداً ، وفى غَمْرَةِ هَذِهِ المفاجأةِ خَرَجَ من المنازلِ الجنودُ والأهالى المِجاهدون وقاتلوا الإنجليزَ بالسَّلاحِ الأبيضِ ، فَفَتَكُوا بِهِم فَتَكاً دَريعاً واشتَرَكَ النِّساءُ فى المعركةِ فَكُنَّ يُنْشِدُنَ الأناشيدَ ، وَيَضْرِبْنَ بالدُّفُوفِ .

وَقَتَّ ذَلِكَ فى عَضْدِ الإنجليزِ^(١) ، وخرجُوا من بابِ المدينةِ ضاربينَ فى الصَّحراءِ .

(١) المراد: ضعفت قوتهم، والعضد : الساعد.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية:

- (١) متى وصل القائد الإنجليزي فريزر إلى الإسكندرية في حملته الحربية؟
- (٢) ما موقف أمين أغا من حملة فريزر؟
- (٣) كيف استعد أهل رشيد للقاء حملة فريزر؟
- (٤) « وَفَتَّ ذَلِكَ فِي عَضْدِ الْإِنْجَلِيزِ، وَخَرَجُوا مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ ضَارِبِينَ فِي الصَّحَرَاءِ ». هات مرادف (عضد) ومضاد (خرجوا)، ومفرد (ضاربين) في جمل مفيدة.
- (٥) متى أصيب الإنجليز بالهزيمة في رشيد؟
- (٦) ما الخديعة التي دبرها أهل رشيد لفريزر وجنوده؟
- (٧) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين في كل مما يأتي:
- (أ) كثرت ضحايا الإنجليز لأنهم كانوا:
 - (قلة ضعيفة - عزلاً من السلاح - وضعوا أسلحتهم للراحة) .
 - (ب) جاهد أهل رشيد أعداءهم:
 - (بالسلاح الأبيض - بالبنادق - بالمدى والبنادق) .
 - (ج) وزَّعت المقاومة الوطنية في:
 - (شارع دهليز الملك - كل شوارع رشيد - المساجد والمدارس)
- صل من العمود (أ) بما يناسبه من العمود (ب):

(ب)

(أ)

أ - بالاختباء في المنازل	١. كانت العيون ترقب
ب - دون مقاومة تذكر	٢. استخدمت العيون الخيول
ج - ماء النيل العذب	٣. نودى على الجنود والشعب
د - تحرك العدو نحو رشيد	٤. دخل العدو رشيد
هـ - توفيراً للوقت	٥. خلع الجنود أسلحتهم
و - ثمار البساتين اليانعة	
ز - ليستريحوا من وعثاء الطريق	

بدأت الثورة العربية باجتماع ضباط الجيش فى منزل (أحمد عرابى) وأقسموا على الجهاد لتحرير مصر مما لحق بها على يد الخديوي، وجرت الأحداث سريعاً وقام الجيش كله بعرض عام فى ساحة عابدين فى التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١م، وفيه عرض (أحمد عرابى) طلبات الجيش والشعب، فردّ الخديوي قائلاً:

«لا حق لكم فى هذه المطالب ، لقد ورثت هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم إلا عبيد إحساننا».

فردّ عرابى رده التاريخى المعروف: «لقد خلقنا الله أحراراً ، ولم يخلقنا تراثاً أو عقاراً ، والله الذى لا إله إلا غيره ، إننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم».

اتفق الخديوي مع الإنجليز على أن يروا أمراً لدخول مصر ، وتعهّد لهم أن يساعدهم ، وتعهّدوا له أن يحموا عرشه، وسافر الخديوي إلى قصر رأس التين ؛ ليكون فى حماية الأسطول الإنجليزى الذى دخل ميناء دمياط ، وقامت الفتن فى البلاد ، وضرب الأسطول الإنجليزى فى الإسكندرية، واضطر عرابى إلى الدخول فى الحرب ضد الإنجليز الذين انحاز إليهم الخديوي، ووقف الشعب المصرى بكل ما يملك بجانب الجيش وقائده العظيم (عرابى) ، ووقعت النكسة الكبرى بوصول الجيش الإنجليزى إلى القاهرة عن طريق العباسية ، ثم القلعة التى سلمها لهم (خنفس) قائد حاميتها .

لقد جهل الإنجليز الحقيقة الواضحة التى سجّلها "ماسبيرو" المؤرّخ الكبير قائلاً:

"إن هذه الأمة المصرية العتيقة دون سائر الأمم والشعوب ، تدلّ طبائع أبنائها، كما تدلّ آثارها على البقاء والخلود ، فكم من مرة اجتاحتها الغاصبون الأقوياء ، وظنّوا أنهم حوّلوا أرضها رماداً تذروه^(١) الرياح ، وظنّوا أنّهم قلبوا مدنها وقراها أنقاضاً^(٢) فوق سكانها ، فإذا بأولئك السكان ينفُضون^(٣) عنهم ما ظلّ الغاصبون قنّاء ، ويُبْعَثُونَ من تحت الأنقاض ليعيدوا البناء والكفاح من جديد"

لقد جهل الإنجليز هذه الحقيقة التاريخية وسخروا بها، حتى لاح بين هذا الظلام نجم جديد، يدعوا لبعث جديد.

وأى نجم غير مصطفى كامل؟ هذا الشاب الذى صمّم على أن يجعل حياته كلها جهاداً فى سبيل

(١) تذروه : تطيره وتبعثه .

(٢) أنقاضاً : الأنقاض بقايا الديار المتهمة ، جمع "نقض" .

(٣) ينفُضون : يزيلون .

بلاده، وأن يكون المحامي الأول عن قضية وطنه العزيز.

لقد رأى مصطفى كامل أن يبدأ جهادة بوسيلتين: الأولى : تقوم على بعث الحركة الوطنية في الداخل ، لتوحيد الجهود ضد المستعمرين ، ومُحاربة استسلام الوزراء والحُكّام وكبار الموظفين المصريين لسلطات الاحتلال ، والوسيلة الثانية : الدعاية للقضية المصرية في أوروبة ؛ حتى يفهم العالم كله أن في مصر شعباً حراً صمّم على أن يستردّ حريته واستقلاله.

وكان بجانب هاتين الوسيلتين يَبُثُّ في الشعب المصري الوطنية الصادقة الصحيحة والشهامة والشجاعة والإقدام ويدعوه إلى حب المجد والرُفعة ومسابقة الأمم في مضمار التّقدّم والرّقي ، لأنه كان يرى أنه إذا تمكّنت هذه المُشاعر وتلك الصّفات من كلّ مصري ، ظهرت معالم الهمة والإقدام ، والتضامن بين مختلف الطبقات والهيئات، واتحدت الأمة المصرية في أهدافها وغاياتها ، وقضت على دُعاة التفرق والخِصام ، وأصبحت أمام المستعمر كالبُنْيَانِ المرصوص^(١) يشدُّ بعضه بعضاً.

بدأ مصطفى كامل يتّصل بالصحف المصريّة ، ينشر فيها المقالات الوطنية ، ليلهب حماسة الشعب ويحرك غيرته ويثير وطنيته ، وكان يخطب في الأندية يحثّ مواطنيه على الكفاح والجهاد ، وما ترك مناسبة إلا وقف يطعن في سياسة بريطانيا ، داعياً أمته إلى التمسك بحريتها وحقوقها كاملةً.

وليشتر دعوته الوطنية في نفوس الشعب أصدر صحيفة اللّواء التي أصبحت شبة مدرسة تُعلّم المصريين حقوقهم وواجباتهم ، وكان يهتم فيها ببعث الروح الوطنية واتحاد عُصرى الأمة وكشف مساوئ الاحتلال والاستعمار ومُحاربة اليأس والاستسلام ، والدعوة إلى التمسك بحقوق البلاد ، وكان شعاره في ذلك: «إنّ من يتسامح في حقوق بلاده ، ولو مرّة واحدة ، يبقى أبد الدهر مُرْعَزَع العقيده».

ولم يقتصر مصطفى كامل على نشر دعوته في مصر، بل رأى بحكمته أن أقوى سلاح في جهاده هو الدّعاية للقضية المصرية في أوربّا فذهب إلى فرنسا وهناك أخرج نداءه في صورة رمزيّة تُمثّل مصر تحت قيود الاحتلال البريطاني، وهي تستغيث بأحرار فرنسا، ليساعدها على تحريرها واستقلالها.

طبّع مصطفى كامل من هذا النداء مئات الآلاف من النسخ ووزّعها على الثّواب والكتّاب والمُفكرين والصحفيين في نواحي فرنسا ، وفي أرجاء العالم كله، فكان لهذا العمل أثر كبير في تنبيه

(١) المرصوص : المنضم بعضه إلى بعض القوى .

أذهان أوربية ، إلى عدالة القضية المصرية وحق المصريين في الحياة الحرة الكريمة.

وَبَيْنَمَا كَانَ مصطفى كامل يَدْعُو لِلْقَضِيَّةِ الْوَطْنِيَّةِ فِي فرنسا وَقَعَتْ فِي مصرَ حَادِثَةٌ دِنْشَوَايَ. لَقَدْ كَانَ بَعْضُ الضَّبَاطِ الْبَرِيطَانِيِّينَ يَصْطَادُونَ الْحَمَامَ بِالْقَرَبِ مِنْ بَلَدَةِ دِنْشَوَايَ بِالْمَنُوفِيَّةِ، فَأَصَابَتْ رَصَاصَةً أَحَدَهُمْ فَلَاحَةً مِصْرِيَّةً ، وَاشْتَعَلَتِ النَّارُ فِي أَجْزَانِ الْقَمْحِ ، فَطَارَدَ أَهْلُ دِنْشَوَايَ الضَّبَّاطُ الْإِنْجِلِيزِ فِي بِلَدَتِهِمْ قَوْلُوا هَارِبِينَ. وَفِي الطَّرِيقِ الزَّرَاعِي تَعَرَّضَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الضَّبَّاطِ لِأَشْعَةِ الشَّمْسِ الْمَحْرِقَةِ، فَأَصَابَتْهُ ضَرْبَةُ الشَّمْسِ، فَمَاتَ.

عَنْدَئِذٍ ثَارَتْ ثَائِرَةُ الْإِنْجِلِيزِ وَشُكِّلَتْ مُحْكَمَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ ، وَبَعْدَ مُحَاكَمَاتٍ وَهَمِيَّةٍ لَا عَدَلَ فِيهَا وَلَا مَنَطِقَ حَكَمَتْ بِإِعْدَامِ أَرْبَعَةٍ مِنَ الْأَهَالِي شَقًّا وَبِالسَّجْنِ وَالْجُلْدِ عَلَى آخَرِينَ.

وَفِي مَكَانِ الْحَادِثِ نُصِبَتْ الْمَشَانِقُ وَجِئَ بِآلَاتِ الْجُلْدِ وَالتَّعْذِيبِ ، وَنُقِذَتْ الْأَحْكَامُ أَمَامَ أَقَارِبِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِمْ فِي غُفٍّ زَائِدٍ وَقَسْوَةٍ بَالِغَةٍ.

وَعِنْدَمَا عَلِمَ مصطفى كامل وهو في باريس بهذا الحادث الأليم ، اسْتَعْلَّ الْحَادِثَ وَنَهَضَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَرَضِهِ يُبَيِّنُ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ ظُلْمَ الْإِحْتِلَالِ وَالْإِسْتِعْمَارِ ، وَتَتَابَعَتْ مَقَالَاتُهُ فِي الصُّحُفِ قَائِلًا:

"جِئْتُ الْيَوْمَ أَسْأَلُ الْأُمَّةَ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ نَفْسَهَا وَالْعَالَمَ الْمَتَمَذِّينَ: هَلْ يَجُوزُ إِغْفَالُ مَبَادِيءِ الْعَدْلِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟

جِئْتُ أَسْأَلُ الْإِنْجِلِيزَ الْغَيْرَةَ عَلَى سُمْعَةِ بِلَادِهِمْ وَكَرَامَتِهَا ، وَأَنْ يَقُولُوا لَنَا إِذَا كَانُوا يَرَوْنَ بَسْطَ النُّفُوذِ الْأَدْبِيِّ وَالْمَادِيِّ لِلْإِنْجِلِيزِ عَلَى مِصْرَ بِالظُّلْمِ وَصُنُوفِ الْهَمَجِيَّةِ؟

جِئْتُ أَسْأَلُ الَّذِينَ يُجَاهِرُونَ فِي كُلِّ أَنْ بَحَقَ الْإِنْسَانِيَّةِ ، مَالِثِينَ الدُّنْيَا بِعِبَارَاتِ السُّخْطِ، إِذَا حَدَّثَتْ فِظَائِعَ فِي بِلَادٍ أُخْرَى دُونَ فِظِيْعَةِ دِنْشَوَايَ أَلْفَ مَرَّةٍ أَنْ يُثْبِتُوا صِدْقَهُمْ وَإِخْلَاصَهُمْ بِالْإِحْتِجَاجِ بِكُلِّ قُوَّةٍ وَشِدَّةٍ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الْمُنْكَرِ الَّذِي يُدِينُ إِلَى الْأَبَدِ تِلْكَ الْمَدْنِيَّةَ الْأُورُوبِيَّةَ فِي أَعْيُنِ الْعَالَمِ كَافَّةً.

جِئْتُ أَسْأَلُ الْأُمَّةَ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ إِذَا كَانَ يَلِيقُ بِهَا أَنْ تَتْرَكَ الْمُمَثِّلِينَ لَهَا فِي مِصْرَ يَعْمَدُونَ بَعْدَ إِحْتِلَالِ دَامِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا إِلَى قَوَانِينِ اسْتِثْنَائِيَّةٍ وَوَسَائِلَ هَمْجِيَّةٍ بَلْ ، وَأَكْثَرَ مِنْ هَمْجِيَّةٍ - لِيَحْكُمُوا مِصْرَ وَيُعْلِمُوا الْمِصْرِيِّينَ مَا هِيَ كَرَامَةُ الْإِنْسَانِ"

ثُمَّ اسْتَطَرَد يَقُولُ:

« يَحِقُّ لِلْمِصْرِيِّينَ أَنْ يَطْلُبُوا تَحْقِيقًا دَقِيقًا كَامِلًا فِي الْمَسْأَلَةِ، وَإِنَّ مِصْرَ عَلَى بُعْدِ يَوْمَيْنِ مِنْ أَوْرَبَّةَ ، فليَأْتِ إِلَيْهَا الْإِنْجِلِيزُ الْمُحِبُّونَ لِلْعَدْلِ وَالرَّائِغُونَ فِي إِعْلَاءِ الشَّرَفِ الْبَرِيطَانِيِّ ، وَلِيَذْهَبُوا إِلَى الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى وَلِيَرَوْا بِأَعْيُنِهِمْ أَنَّ الشَّعْبَ الْمِصْرِيَّ لَيْسَ مَتَعَصِّبًا أَبَدًا ، وَلَكِنَّهُ شَعْبٌ كَرِيمٌ أَبَى يَنْشُدَ الْعَدْلَ وَالْمَسَاوَاةَ وَيَطْلُبُ أَنْ يُعَامَلَ كَشَعْبٍ حَرٍّ لَا كَقَطِيعٍ مِنَ الْأَغْنَامِ ، وَأَنَّهُ يَعْمَلُ بِكُلِّ عَزِيزٍ لَدَيْهِ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْمَطْلَبِ الْأُسْمَى ^(١) مَطْلَبِ الْحَرِيَّةِ وَالْإِسْتِقْلَالِ ».

أَجَلْ، إِنَّ الشَّعْبَ الْمِصْرِيَّ شَاعَرَ الْآنَ بِكَرَامَتِهِ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ لَا يُمَكِّنُ إنْكَارَهُ بِأَيَّةِ حَالٍ، إِنَّهُ يَطْلُبُ مُعَامَلَةً أَبْنَاءَهُ أَسْوَأَ بِالْأَجَانِبِ ، وَهُوَ طَلَبٌ عَدْلٍ وَغَيْرُ مَبَالِغٍ فِيهِ أَيْضًا.

إِنَّمَا نَطَالِبُ بِالْعَدْلِ وَالْمَسَاوَاةِ وَالْحَرِيَّةِ ، نَطْلُبُ دُسْتُورًا يُنْقِذُنَا مِنَ السُّلْطَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِلْعَالَمِ الْمَتَمَذِّينَ وَلِلرِّجَالِ الْمُحِبِّينَ لِلْحَرِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي إِنْجِلْتِرَا إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مَعَنَا، وَيَطْلُبُوا مِثْلَنَا أَلَّا تَكُونَ مِصْرُ - تِلْكَ الَّتِي وَهَبَتْ لِلْعَالَمِ أَجْمَلَ وَأَرْقَى مَدِينَةٍ - أَرْضًا تَمْرَحُ الْهَمَجِيَّةُ فِيهَا، بَلْ بِلَادًا تَسْتَطِيعُ الْمَدِينَةُ وَالْعَدَالَةُ أَنْ تَبْلُغَا فِيهَا مِنَ الْخَصْبِ وَالنَّمُوِّ مَبْلَغَ خَصْبِ أَرْضِهَا الْمُبَارَكَةِ".

وَدَوَّتِ الْمَقَالَةُ فِي أَوْرُوبَا دَوْبًا عَظِيمًا، وَتَنَاقَلَتْهَا الصُّحُفُ فِي مُخْتَلَفِ أَرْجَاءِ الْعَالَمِ بِالتَّعْلِيقِ النَّزِيهِ وَكَانَ لِبَلَاغَتِهَا وَعِبَارَتِهَا الْقَوِيَّةِ الْمُؤَثِّرَةِ ، الصَّادِرَةِ مِنْ زَعِيمِ الْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّةِ تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ فِي الرَّأْيِ الْعَامِّ الْأَوْرَبِيِّ الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَ صَحِيفَةَ "التَّرِييُونِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ" تُنَادِي بِوَجُوبِ مَنَحِ مِصْرَ اسْتِقْلَالَهَا الذَّاتِي .

وَكَتَبَتْ مَجْلَةُ "الْمَجَلَاتِ" الْإِنْجِلِيزِيَّةِ مَقَالَةً تَذَكَّرُ الْإِنْجِلِيزَ فِيهَا بِوَعُودِهِمْ بِالْجَلَاءِ عَنْ مِصْرَ، وَأَخَذَتِ الصُّحُفُ الْعَالَمِيَّةُ الْآخَرَى تَتَشَرُّ الْمَقَالَاتِ الطَّوِيلَةَ عَنْ مِصْرَ وَمَكَائِثِهَا فِي الْمَجْتَمَعِ الدَّوْلِيِّ.

وَكَانَ لِهَذِهِ الْمَقَالَةِ صَدَى فِي الْبَرْلَمَانِ الْبَرِيطَانِيِّ إِذْ قَامَ بَعْضُ الثُّوَابِ الْأَحْرَارِ يُلْقُونَ عَلَى اللُّوردِ كِرُومِر ^(٢) تَبَعَةً حَادِثَةً دِنْشَوَايَ وَيَسْتَتَكْرُونَ فَعَلَّتَهُ.

وَتَوَجَّهَ (مِصْطَفَى كَامِل) بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى لَنْدَنَ نَفْسِهَا، وَرَاحَ يَوَاصِلُ جِهَادَهُ هُنَاكَ رَافِعًا صَوْتَ مِصْرَ عَالِيًا ، شَارِحًا لِرِجَالِ السِّيَاسَةِ وَقَادَةِ الْفِكْرِ وَجْهَةَ النَّظَرِ الْمِصْرِيَّةِ فِي مَنَظِقِ سَلِيمٍ ، وَحُجَّةَ قَوِيَّةً.

(١) الْأُسْمَى : الْأَعْلَى ، وَالْمُضَاد : "الْمُنْخَفِضُ"

(٢) اللُّوردُ كِرُومِر : الْمُنْدُوبُ السَّامِيُّ الْبَرِيطَانِيُّ وَتَقْتَضِ ، وَكَانَ يُمَثِّلُ الْحُكُومَةَ الْبَرِيطَانِيَّةَ فِي مِصْرَ

وَأَدْرَكَتِ الْحُكُومَةُ الْبَرِيطَانِيَّةُ أَنَّ سِيَاسَتَهَا فِي مِصْرَ تَحْتَاجُ إِلَى تَبْدِيلٍ وَتَعْدِيلٍ وَأُلْقِيَتْ مَسْئُولِيَّةُ حَادِثَةِ دَنْشَوَايَ عَلَى شَخْصِيَّةِ اللُّوردِ كرومر، ورأت بريطانيا إقصاءه عن مَنْصِبِهِ إِنْقَازًا لِسُمْعَتِهَا أَمَامَ الْعَالَمِ الْمَتَمِدِّينَ وَتَخْفِيفًا لِهَيَاجِ الشُّعُورِ الْوَطَنِيِّ فِي مِصْرَ.

وَكَانَ اسْتِعْفَاءُ^(١) اللُّوردِ كرومر انْتِصَارًا كَبِيرًا لِلْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّةِ، فَقَدْ تَوَلَّى مَنْصِبَهُ فِي مِصْرَ مَدَّةَ أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ عَامًا، وَكَانَ فِي خِلَالِهَا الْحَاكِمَ الْمَطْلُوقَ لِمِصْرَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ إِقْصَاءَهُ عَنِ السُّلْطَةِ بَعْدَ هَذِهِ الْمَدَّةِ الطَّوِيلَةِ، هُوَ اعْتِرَافٌ بِقُوَّةِ الْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّةِ.

وَقَفَ (مُحَمَّدُ فَرِيدٌ) فِي أَوْرِبَا رَاسِخًا كَالْجِبَالِ، يُنْفِقُ مِنْ ذَاتِ يَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْطُبَ أَوْ يَكْتُبَ، كَانَ يَطِيرُ إِلَى الْمُؤْتَمَرَاتِ الْأَوْرُوبِيَّةِ لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا مُؤْتَمَرٌ، وَلَا يَتْرُكُ مِنْهَا اجْتِمَاعًا، رَافِعًا صَوْتَ مِصْرَ، وَمُنَادِيًا بِاسْتِقْلَالِهَا، يُعِينُهُ مَالُهُ، وَتُسْعِفُهُ ثَرَوَتُهُ، دُونَ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ قَوْمِهِ عَوْنًا.

وظَلَّ يَدْعُو لاسْتِقْلَالَ بِلَادِهِ، وَيُثِيرُ فِي قَوْمِهِ الْحَمَاسَةَ وَالْوَطَنِيَّةَ حَتَّى نَفِدَتْ أَمْوَالُهُ وَعَاشَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ مَرِيضًا فَقِيرًا ثُمَّ أَسْلَمَ الرُّوحَ بَعِيدًا عَنِ دِيَارِهِ.

وَكَانَ لِجِهَادِ هَذَيْنِ الزَّعِيمَيْنِ: مُصْطَفَى كَامِلٍ، وَمُحَمَّدِ فَرِيدٍ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي ازْدِيَادِ الْوَعْيِ الْقَوْمِيِّ، حَتَّى أَصْبَحَ الشَّعْبُ دَائِمَ الْمُطَالَبَةِ بِحَقُوقِهِ، وَعَلَى اسْتِعْدَادٍ لِمُقَاوَمَةِ الْاِحْتِلَالِ وَبِذَلِ التَّنْضِيحَاتِ، عِنْدَ سُنُوحِ أَيْةِ فُرْصَةٍ، وَقَدْ سَنَحَتْ تِلْكَ الْفُرْصَةُ فِي ثَوْرَةِ ١٩١٩ م.

(١) استعفاء : إبعاد وإقصاء

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

- (١) لخص فى خمسة أسطر أحوال الاحتلال الإنجليزي فى مصر .
- (٢) بدأ مصطفى كامل الجهاد بوسيلتين . فما هما ؟
- (٣) ماذا فعل مصطفى كامل لينشر دعوته فى نفوس الشعب ؟ وماذا كان شعاره ؟
- (٤) اكتب ما تعرفه عن حادثة دنشواى . وكيف استغل مصطفى كامل هذا الحادث ؟
- (٥) تخير الإجابة من بين القوسين :

حمل لواء الكفاح بعد مصطفى كامل مباشرة: (جمال عبد الناصر - سعد زغلول - محمد فريد).

٦ (ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :

- (أ) مات الضابط الإنجليزي فى قرية (دنشواى) بأيدي الفلاحين. ()
- (ب) سافر (مصطفى كامل) إلى فرنسا يدعو للقضية المصرية. ()
- (ج) اختار (محمد فريد) طريق الكفاح المسلح لنيل استقلال مصر. ()
- (د) لم يكن (مصطفى كامل) و (محمد فريد) أثر فى المصريين. ()
- (هـ) تبدلت سياسة إنجلترا فى مصر بعد كفاح (مصطفى كامل). ()

فى ١٣ مِنْ نُوفَمبر سنة ١٩١٩، ذهب سعدُ زغلول مَعَ زميلَيْهِ عبد العزيز فَهْمى وَعَلَى شعراوى ، إلى دار المندوب السَّامى البريطانىِّ وعَرَضُوا عَلَيْهِ مَطَالِبَ الْبِلادِ فى الْحَرِيَّةِ وَالاسْتِقْلالِ .

لَمْ يَظْفَرْ هَؤُلاءِ الزُّعَماءِ الثَّلَاثَةُ مِنَ المندوبِ البريطانىِّ بِجوابٍ يُحَقِّقُ آمالَهُمْ ، وأدرك سعدٌ من مناقشةِ المندوبِ إِيَّاهُمْ أَنَّ بريطانيا لا تَرغِبُ فى الوَفاءِ بِوَعودِها السَّابِقَةِ التى قَطَعَتْها على نَفْسِها بِالْجَلاءِ ، والاعترافِ باستِقْلالِ مِصرَ ، فَعَزَمَ سعدٌ على أن يَرَفَعَ رايةَ الجِهادِ وَيُطالِبَ باستِقْلالِ البلادِ.

وكانَ أوَّلُ ما وجَّهَ اهتمامه إِلَيْهِ وَقُوفُ الأُمّةِ صَفًّا واحداً متماسكاً أمام الإنجليز ، لِيَقْطَعَ أَمْلَهُمْ فى التفریقِ بَيْنَ عُنُصْرِى الأُمّةِ ، وَقَدْ لَبَّى الشعبُ المصرى بِجَمِيعِ طوائِفِهِ وأُديانِهِ النداءَ حَتَّى تَبادَلَ رِجالُ الدِّينِ الزِيارَةَ والخُطْبَةَ فى المساجِدِ والكنائسِ ، وأصبحَ الشَّعبُ كُتْلَةً واحِدَةً مُتَراصَّةً ، لا يَسْتَطِيعُ الْمُحتَلُّ أن ينفِذَ بَيْنَ صُفُوفِها.

ورأى الإنجليزُ خَطرَ هذه الحَرَكةِ ، فعَزَمُوا على إخمادِها ، قَبْلَ أن يَزِدَادَ الأمرُ سُوْءًا فَالَقُوا القَبْضَ عَلَى (سعد زغلول) وثلاثةٍ مِنَ المُجاهدينَ مَعَهُ ، وَأرْسَلُوا إلى المنفى فى جَزيرةِ مالطةِ.

كانَ نَفى "سعدٍ" وصحبِهِ يا ولدى كالشَّرارةِ أَلْهَبَتِ النُّفوسَ الغاضِبَةَ ، وَأُطْلِقَتِ الثَّورَةُ الكامِنَةُ فى الصُّدُورِ ، فانْطَلَقَتِ المُظَاهراتُ فى العاصِمةِ والأقاليمِ وَحَدَّثَتِ المِصادِماتُ بَيْنَ المصرِيِّينَ والجنودِ الإنجليزِ ، وانتشرت فى الأقاليمِ فِكرَةُ قُطْعِ المُواصلاتِ ، فَقَطَعَ الثَّوارُ خُطوطَ السككِ الحِديديَّةِ وَجَمِيعَ طُرُقِ المُواصلاتِ .

واشتركت السِّيَداتُ والفَتَياتُ المِصرياتُ فى الحَرَكةِ الوطنِيَّةِ ، وَنَظَّمْنَ مُظَاهراتٍ جريئةً وَعَرَّضْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرصاصِ المدافعِ والسَّجَنِ والتَّشريدِ.

وقبِلَتْ بريطانيا فى إخمادِ الشُّعُورِ الوطنِيِّ ، وَوَجَدَتْ أن سِياسَةَ الحَديدِ والنارِ والقِسْوَةِ والعُنفِ لَمْ تُجِدْ على الإطلاقِ ولم تُعَيِّرْ مِنْ سِياسَةِ المصرِيِّينَ ، وَقَرَّرَتِ الإفراجَ عن سعدٍ وصحبِهِ.

وَمَا أنْ تم الإفراجُ عن سَعْدٍ وَزُملائِهِ، حَتَّى انْطَلَقُوا إلى بارِيسَ ، لِعَرْضِ قَضِيَّةِ بلادِهِم على مُؤتمَرِ الصُّلحِ، إلا أن الدَّوْلَ الكُبْرى ناصَرَتْ حَلِيفَتَها بريطانيا ، وَأَغْمَضَتِ العَيْنَ وَأَبَتْ أن تَقُولَ كَلِمَةً حَقًّا.

ورأت بريطانيا أن تَعْمَلَ على تَهْدِئَةِ الأمورِ فَقَرَّرَتِ إرْسالَ لَجَنَةٍ بِرِئاسةِ اللُّوردِ (مَلَنَر) لِلتَّحْقِيقِ فى أَسْبابِ الثَّورَةِ ومُحاوَلَةِ الوُصولِ إلى حَلٍّ لا يَتعارَضُ مع مَصالِحِها، وَلَكِنَّ الحُكُومَةَ البريطانيَّةَ أَعْلَنَتْ فى

الوقت نفسه أنها متمسكة بالحماية ، وأن مهمة اللجنة توسيع نطاق الحكم الذاتي وحماية المصالح البريطانية ، فتأثر الشعب ضد هذه اللجنة وقاطعها ، ولم تجد اللجنة من تفاوضه ، وعادت من حيث أتت ، بعد أن عاشت في مصر ثلاثة شهور ، لمست فيها قوة الشعور الوطني . وحاولت هذه اللجنة بعد عودتها إلى لندن أن تتفق مع سعد وصحبه ، ولكن انتهت المفاوضات بالفشل لأن مشروع "ملنر" كما وصفه سعد كان حماية مؤقتة .

تجددت المظاهرات الوطنية ، واشتد عذوان الجنود البريطانيين على المتظاهرين ، لقد اقتحموا الجامع الأزهر برصاصهم ، وقتلوا بعدد كبير من المواطنين في الأحياء المختلفة ، وقرروا نفى سعد وصحبه إلى جزيرة "سيشل" في المحيط الهندي ، ولكن نفى هؤلاء الزعماء لم يضعف حركة المقاومة ، بل قام غيرهم بتنظيم المظاهرات ، والاحتجاجات ومقاطعة البضائع الإنجليزية ، وأضرب السياسيون عن تشكيل الوزارة ، وتكونت الجمعيات السرية المسلحة .

أمام هذا الشعب الثائر ، اضطرت بريطانيا إلى أن تعلن إلغاء الحماية البريطانية عن مصر ، وأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، ولكنها احتفظت بأربع نقاط ، هي : تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية ، والدفاع عن مصر ضد أي تدخل أجنبي ، وحماية الأقليات ، وأن تعالج مسألة السودان في مفاوضات تالية بين البلدين .

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

- (١) وضح سبب ذهاب سعد زغلول وزملائه إلى دار المندوب السامي البريطاني وما نتيجة ذهابهم؟
- (٢) كيف بدأت ثورة الشعب ضد الإنجليز؟ وما دور السيدات والفتيات المصريات فيها؟
- (٣) لماذا أوفدت بريطانيا لجنة برئاسة اللورد "ملنر"؟ وما موقف الشعب منها؟
- (٤) نفى الإنجليز سعدًا وزملاءه مرتين . وضح ذلك .
- (٥) اذكر موقف كل من هؤلاء في ثورة ١٩١٩ :

(سعد زغلول وزملائه - الشعب المصري - السلطات البريطانية - لجنة ملنر)

أَلْغِيَتِ الْحِمَايَةُ ، واعترفت بريطانيا لمصر بسيادتها واستقلالها، ولكن بلادنا لم تستمتع بهذا الاستقلال إلا بمظهره الخارجي ، لأن الحكومة البريطانية ظَلَّتْ متمسكةً بالتحفظات الأربعة ، وجعلت منها حُجَّةً للتدخل في شئوننا الداخلية بين حين وآخر.

وابتليت مصرُ بانحراف الأحزاب التي طَغَتْ على زعمائها وقادتها ورجالها الأهواء والمطامع الشخصية. فأصبحَ هُمُّ كُلِّ حِزْبٍ أَنْ يُحَطِّمَ الحِزْبَ الآخَرَ ، أو أَنْ يَصِلَ إلى مقاعد الحكم ، مهما كانت الغاية والوسيلة، لقد انحرقت الأحزاب وحلَّتْ بِذَلِكَ المصيبة الكبرى والنكسة العظمى ، إذ أصبحت مصالح البلاد العليا موضعَ ممارَسَةٍ ، فَمَا يَرُفُضُهُ حِزْبٌ مِنَ الأحزاب يَقْبَلُهُ الحِزْبُ الآخَرُ وَيُؤَيِّدُهُ ، وَلِهَذَا كَانَ طُلَابُ الْجَاهِ الْمُرِيفِ وَالْمُتَكَالِفُونَ على مقاعد الحكم يَخْضَعُونَ لِرَغَبَاتِ المُسْتَعْمِرِ البريطانيِّ.

وَرَاَحَتِ الأحزابُ تتصارعُ مِنْ أَجْلِ الوصولِ إلى مقاعد الحكم ، دُونَ اهتمامٍ بأهدافِ الشعبِ وَغَايَاتِهِ ، وَمِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةٍ لِمَصْلَحَةِ الْوَطَنِ الْعُلْيَا.

لَقَدْ فَسَدَتْ أَدَاةُ الْحُكْمِ وَاتَّخَذَ الْبَعْضُ مِنْ مَنَاصِبِهِمْ أَوْ قَرَابَتِهِمْ لِأُولَى الْأَمْرِ ، وَسِيلَةً لِلثَّرَاءِ بِطَرِيقٍ غَيْرِ مُشْرُوعٍ ، كَالرَّشْوَةِ وَالْاِتِّجَارِ فِي الْمُنْتَوَعَاتِ ، وَضَعُفَتْ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ رِقَابَةُ الْبُرْلَمَانِ عَلَى أَعْمَالِ الْحُكُومَاتِ ، حَتَّى أَصْبَحَ دُسْتُورُ الْبِلَادِ فِي مَهَبِّ الْأَهْوَاءِ وَالْأَغْرَاضِ ، فِي وَسْطِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَاسِدَةِ دَخَلَ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ مَعَ بَقِيَّةِ الْجُيُوشِ الْعَرَبِيَّةِ أَرْضَ فَلَسْطِينَ ، لِتَخْلِيصِهَا مِنْ عِصَابَاتِ الْيَهُودِ.

لَقَدْ أَبْدَى الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ نَشَاطًا مَلْحُوظًا وَجُهُودًا مُؤَفَّقَةً حَتَّى هَرَمَ الْيَهُودُ فِي عِدَّةِ مَوَاقِعَ ، وَدَكَ الْكَثِيرُ مِنْ حُصُونِهِمْ وَقِلَاعِهِمْ . وَلَكِنْ حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ ، إِذْ انْتَهَرَ الْمُقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ الْفُرْصَةَ لِلإِثْرَاءِ عَلَى حِسَابِ أَرْوَاحِ الضَّحَايَا فَاحْتَكَرُوا^(١) تَوْرِيْدَ الْأَسْلِحَةِ لِلْجَيْشِ ، وَقَدَّمُوا لَهُ أَسْلِحَةً فَاسِدَةً.

وَمَعَ هَذِهِ الظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ^(٢) وَقَفَ جُنُودُ مِصْرَ وَقْفَةً مُشْرِفَةً ، وَقَفُّوا يُدَافِعُونَ لَا بِأَسْلِحَتِهِمُ الْفَاسِدَةَ ، بَلْ وَقَفُّوا يُجَاهِدُونَ بِصَبْرِهِمْ وَعَزِيمَتِهِمْ ، وَيُنَاضِلُونَ بِإِيمَانِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ . لَقَدْ صَمَدُوا صُمُودَ الْجَبَابِرَةِ ، وَمَا صُمُودُ حَامِيَةِ الْفَالُوجَا^(٣) فِي فَلَسْطِينَ إِلَّا صُورَةً مِنْ شَجَاعَةِ الْجَنْدِيِّ الْمِصْرِيِّ.، وَصَبْرِهِ وَإِيمَانِهِ بِنَفْسِهِ.

(١) احتكر الشيء : جعله مقصورا عليه أو افرد به للاستغلال : استأثر به واستبد

(٢) العصيبة : الصعبة

(٣) حامية الفالوجا : حامية مصرية كانت ترابط وتحارب اليهود في فلسطين ، وأبدت صموداً عظيماً في حرب فلسطين

لَقَدْ هَجَمَ الْيَهُودُ عَلَى حَامِيَةِ الْفَالُوجَا ، بجيشٍ كبيرٍ عَدَدُهُ أَحَدَ عَشَرَ أَلْفًا زُوِدُوا بِأَحَدِثِ الْأَسْلِحَةِ ،
تَوَيَّدُهُمُ الدَّبَابَاتُ فِي الْأَرْضِ ، وَالطَائِرَاتُ فِي السَّمَاءِ ، وَبَدَأَ الْغَادِرُونَ يُسَدِّدُونَ إِلَى هَذِهِ الْحَامِيَةِ نَارًا مَوْقَدَةً ،
وَقَفُوا يَنْتَظِرُونَ تَسْلِيمَ الْحَامِيَةِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى ، وَلَكِنْ خَابَ أَمْلُهُمْ ، كَانُوا كَمَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى
الْهَوَاءِ أَوْ يَكْتُتَبَ عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ ، لَقَدْ وَقَفَتْ هَذِهِ الْحَامِيَةُ تَدَافِعُ عَنْ شَرَفِ مِصْرَ ... وَقَفَتْ تَدَافِعُ
بِإِيمَانِهَا وَرُوحِهَا وَشَجَاعَتِهَا وَصَبْرِهَا ... وَلَيْسَ لَدَيْهَا إِلَّا أَسْلِحَةُ يَنْدَى لَهَا الْجَبِينُ خَجَلًا .

أَمَامَ هَذَا الْفَسَادِ فِي الدَّخْلِ وَالْأَحْدَاثِ الْمُتَعاقِبَةِ فِي الْخَارِجِ ، فَقَدْ خُيِّلَ لِلْيَهُودِ مَعَهَا يَا وَلَدِي أَنْ
أَقْدَامُهُمْ فِي الشَّرْقِ قَدْ ثَبَتَتْ ، وَخُيِّلَ لِلْمُسْتَعْمِرِ أَنْ شُعْلَةَ الْحُرِيَةِ وَالْمَجْدِ فِي الْبِلَادِ قَدْ انْطَفَأَتْ ، وَكَانَ
الشَّعْبُ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِهِ يَهْتَفِ قَائِلًا : « أَمَّا لِهَذَا الظُّلْمِ مِنْ آخِرٍ .. !!؟ أَمَّا لِهَذَا اللَّيْلِ مِنْ فَجْرِ !!؟ لَقَدْ
نَسِيَ الْيَهُودُ وَالْمَلِكُ وَالْمُسْتَعْمِرُ أَنْ تَحْتَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ نَارٍ ، يُوشِكُ أَنْ يَشْتَعِلَ » .

كَانَ الْأَحْرَارُ مِنَ الضُّبَّاطِ ثَائِرِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ ، كَانُوا يَبْحَثُونَ وَيَعْمَلُونَ فِي كِتْمَانٍ شَدِيدٍ .
كَانُوا يَرْقُبُونَ الْفُرْصَةَ لِيَضْرِبُوا الضَّرْبَةَ الصَّحِيحَةَ ، الَّتِي لَا يَعْتَرِيهَا خَلَلٌ أَوْ خَطَأٌ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ .
وَأَخِيرًا خَرَجَ الْعَمَلُقُ مِنْ سِجْنِهِ وَخَرَجَتْ ثَوْرَةُ ٢٣ يُولْيُو سَنَةِ ١٩٥٢ مِنْ مَكْمَنِهَا لِتُغْلِبَ حَقَّ الشَّعْبِ
فِي حُرِّيَّتِهِ وَحَقَّ الشَّعْبِ فِي وَطَنِهِ ، وَحَقَّهُ فِي حَيَاةٍ حُرَّةٍ كَرِيمَةٍ ، وَحَقَّهُ فِي أَنْ يَأْخُذَ مَكَانَهُ تَحْتَ الشَّمْسِ ،
وَفِي رُكْبِ الْحَضَارَةِ وَالتَّقَدُّمِ .

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

- (١) ما التحفظات الأربعة التي جاء ذكرها في العبارة الأولى؟
- (٢) وضح أحوال الأحزاب المصرية بعد إلغاء الحماية البريطانية.
- (٣) لماذا دخل الجيش المصري أرض فلسطين؟
- (٤) ماذا تعرف عن قصة الأسلحة الفاسدة؟ ومن الذين زودوا الجيش المصري بها؟
- (٥) متى قامت الثورة المصرية؟ ومن الذين قاموا بها؟

جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وقد عَزَمَتْ على أن تَتَخَلَّص من كلِّ دخيل مستعمر جاءت تقول:

والله ما دُونَ الجلاءِ ويومِهِ يَوْمٌ تُسَمِّيهِ الْكِنَانَةُ عيدًا أَمَامَ هذا الفَجْرِ الجديدِ وهذا التَّطَوُّر الحميدِ ، وأمامَ هذه الإرادةِ القويَّةِ والإصرارِ الأكيدِ ، وأمامَ هذا التضامُنِ الشعبِيِّ الذي لا مثيلَ له ، لم تجدُ بريطانيا مَفْرًا مِنْ أن تَعْقِدَ مَعَ مِصْرَ معاهدةَ الجَلَاءِ ، لترَحَّلَ عن البلادِ لِأَوَّلِ مرَّةٍ بعد اثنتين وسبعين عامًا قضتها في تدخُّلٍ معيَّبٍ في شئون البلادِ ، وتَمَّ ذلك في يوم مبارك هو ١٩ من أكتوبر ١٩٥٤.

ووقَّفَ زعيمُ الثورة^(١) يخطب قائلًا:

"إنني أَسْرَحُ بِخَوَاطِرِي في هذه اللحظةِ المجيدةِ عِبرَ أسوارِ الحياةِ. إلى الذين جَاهَدُوا من أجلِ هذا اليومِ ، ولم يَمُتدَّ العُمُرُ بهم ليعيشوه، إنني أتَجِبُهُ بقلْبٍ شعبٍ ، وأتَجِبُهُ بوفاءٍ جيلٍ إلى الزعماء الذين كَافَحُوا إلى أحمد عرابي، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وسعد زغلول ، وإلى الشباب الذين باعُوا أرواحَهُم للفداءِ ، وعلى كلِّ بُقْعَةٍ من ثَرَى الوَطَنِ ، أتَجِبُهُ إليهم وأقولُ لهم سوف ، نَمُضِي على الطريقِ ، لَن نَضْعُفَ وَلَن نُخَذَلَ وَلَن نَنْسَى الأمانةَ التي حَمَلْنَاهَا ، ولا الواجبَ الوطني الذي عاهدنا الله عليه".

ورحلت بريطانيا عن أرضِ الوطنِ ، فإذا فَجَّرَ جديدٌ وبعثٌ جديدٌ يتَجِبُهُ بنا نحوَ مُسْتَقْبَلٍ باهرٍ مَجِيدٍ . وانطلقتِ الثورةُ بعد ذلك في طريقِ الإصلاحِ ... طريقِ البناءِ والتعميرِ ، وانطلقتِ تشييدُ دعائمِ القوةِ والعظمةِ والرِّفاهيةِ ، مُعْلِنَةً أن الصناعاتِ الثقيلةِ دعامةٌ قويَّةٌ من هذه الدعائمِ ، وسبيلنا إلى ذلك قوةٌ كهربائيةٌ محركَةٌ تتولَّدُ من مياهِ السدِّ العاليِ المتدفِّقةِ ، وحديدٌ راقِدٌ في أرضِ مصرٍ منذُ الْقَدَمِ . اندفعتِ الثورةُ إلى إطلاقِ هذه القوىِ النافعةِ من مَكْمَنِهَا ، بعد أن ظَلَّتْ حَبِيسَةً في مواضعِها عشراتِ السنينِ .

جاءتِ الثورةُ وهي تؤمِّنُ أن الحريةَ في أمةٍ فقيرةٍ تستجِدِي أَقْوَانَهَا من غَيْرِهَا ، وتعيش عبئًا على سِوَاهَا ، ولا يجدُ أبناؤها ما يُمَسِّكُ الرِّمَقَ^(٢) وما يَسْتُرُ العَوْرَةَ . هي حُرِّيَّةٌ كاذبةٌ تفر من الشعبِ عندَ الشَّدَّةِ . أما الحريةُ التي تَحْمِيهَا المزارعُ والمصانعُ فهي حُرِّيَّةٌ مَصُونَةٌ^(٣) الجانبِ: يَرْهَبُهَا الأعداءُ ، ويَحْرِصُ على صداقَتِهَا الأصدقاءُ .

وسار موكبُ البناءِ والتعميرِ نحوَ أهدافِهِ بخطى واسعةٍ سريعةٍ ، وتحققَ مشروعُ السدِّ العاليِ ، هذا المشروعُ الخطيرُ فكانَ في تحقيقِها له نَفْعٌ عَظِيمٌ ، يشملُ الجمهوريةَ في كيانِها العامِ ، والفردَ في مستوى

(١) هو الزعيم الراحل عبد الناصر

(٢) يمسك الرمح : يحفظ النفس والحياة

(٣) مصونة : محمية ومحفوظة

معيشته . لقد كان المشروع انقلاباً شاملاً ، يُحقّق الرفاهية للأفراد والجماعات ، ويدفع الأمة كلها إلى اللحاق بموكب الدول الصناعية الكبرى.

وسار مع هذا الانقلاب الصناعي انقلاب زراعي ، يشمل كل أرجاء الوطن العزيز ، تنتزع به من صحارينا وأرضينا الجرداء مليونين من الأفدنة ، ويحولها هذا السد إلى أرض زراعية خصبة تنتج من الغلات أوفرها ومن الثمرات أطيبها . هذا مع ضمان زراعة سبعمائة ألف فدان من الأرز كل عام، مهما انخفض إيراد ماء النهر، الأمر الذي يجعلنا من أكبر الدول المصدرة للأرز ، وبهذا لا تعتمد بلادنا على القطن وحده.

وهذا هو ذا موكب البناء والتعمير يسير نحو غاياته ، ليُشيد دعائم نهضة شاملة ، تُحقّق للوطن العربي العزة والرفعة والرفاهية.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية:

- ١) متى تم جلاء الإنجليز عن مصر؟
- ٢) من الزعماء الذين جاهدوا للحصول على الجلاء ولم يشهدوه؟
- ٣) ما المقصود بالفجر الجديد، والبعث الجديد؟
- ٤) ما المشروع العملاق الذي نفذته الثورة؟ وما أثره في الصناعة والزراعة؟
- ٥) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة:

- أ) كان جلاء الإنجليز عن مصر بعد خمسة وثمانين عاماً . ()
- ب) اهتمت الثورة بالصناعة وبخاصة الصناعات الثقيلة . ()
- ج) الحرية الحقيقية هي الحرية الاقتصادية . ()
- د) أصبحنا نستورد الأرز من الخارج لأن إنتاجنا لا يكفي . ()
- هـ) من الزعماء الذين لم يشهدوا يوم الجلاء (السادات) . ()

أُملت^(١) مصر شركة قناة السويس، فكان ذلك حدثاً عظيماً وعيداً مجيداً، فإذا البَهْجَةُ في كلِّ مكانٍ والفرحةُ على كلِّ لسانٍ وإذا الابتسامَةُ تَغْمُرُ كلَّ وجهٍ، وإذا النَّشْوَةُ تملأُ كلَّ قلبٍ.

لقد عَمَّتِ الفرحةُ الكبرى أرجاءَ البلاد ... وكيف لا تَعُمُّ ، وقناةُ السويس قد رُدَّتْ إلينا بعدَ غيابٍ طويلٍ ويأسٍ مريرٍ؟ وجهادٍ شاقٍّ طويلٍ؟

أمَّا في أوربة فكان الحالُّ على نقيضِ^(٢) ذلك، فقدَ حَيَمَ الحُزنُ على كلِّ رُكنٍ ، وغابتِ الابتسامَةُ عن كلِّ وجهٍ ، فكانَ في كلِّ صدرٍ زَفَرَاتُ حزنٍ دَفِينٍ.

واجْتَمَعَ رِجَالُ السِّيَاسَةِ في أوربة للتَّفَكِيرِ في هذا الحَدَثِ الخَطِيرِ ، و للتَّأَمُّرِ على مُصِرِّ لإعادةِ قناةِ السويسِ إليهم كما كانت.

حاول الاستعمارُ بِطُرُقِهِ المُتَوَاصِلَةِ المختلفةِ أَنْ يُقِيمَ الدُّنْيَا وَيُقْعِدَهَا ، ويشيرَ العَالَمُ كُلُّهُ ضِدَّنَا وَلَكِنْ مَنُطِقَ مِصْرَ كَانَ أَقْوَى مَن سُلْطَانِ المِستَعْمَرِ وَدَهائِهِ وَدَسَائِسِهِ.

ولما قَبِلَ المُسْتَعْمَرُ أَمَامَ الحَقِّ والْعَدْلِ لَجَأَ إلى مَنُطِقِ الحَدِيدِ والنَّارِ، فإذا ثَلَاثُ دُولٍ تَغْرُو بِأَسَاطِيلِهَا ومَدْمَرَاتِهَا وطَائِرَاتِهَا وغَوَاصَاتِهَا مِصْرَنَا الحَبِيبَةَ ، وَقَدَّرُوا لِهَذَا العَرُو ستَةَ أَيَّامٍ يَقْبِضُونَ بَعْدَهَا على زِمَامِ الأُمُورِ وَيُعِيدُونَ بَعْدَهَا القَنَاةَ إلى حَظِيرَتِهِمْ كما كانتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

ولَكِنَّ أبنَاءَ هَذَا الشَّعْبِ ، وقفوا يَسْتَقْبِلُونَ هَذَا العُدْوَانَ في صَبْرٍ وعَزِيمَةٍ وإِيمَانٍ.

أَقْبَلْتُ كَتَائِبُ "الشَّيَاطِينِ الحُمْرِ" كَمَا كَانُوا يُسَمُّونَهَا تَهَبُّطُ بِمِظَلَّاتِهَا مِنَ الطَّائِرَاتِ ... فإذا أبنَاءُ مِصْرَ جنوداً وشعباً ، صغاراً وكباراً، نساءً ورجالاً، يَسْتَقْبِلُونَ هَؤُلَاءِ الغَادِرِينَ بِبِنَادِقِهِمْ وَمَدَافِعِهِم الرِّشَاشَةِ ، لَا يَهَابُونَ وَلَا يَخَافُونَ شَيْئاً ، وإذا جنودُ الدُّوَلِ العُظْمَى تَلْقَى مَصْرَ عَها قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ إلى أَرْضِ الوَطَنِ ، لَا بِيَدِ المُدْرِبِينَ فَقَطْ ، بل بِيَدِ الشَّعْبِ الذَّائِدِ عن وَطَنِهِ ، والمَتَحَمِّسِ لِشَرَفِهِ وَكَرَامَتِهِ أَيْضاً.

لقد انتَصَرَ هَذَا الشَّعْبُ ؛ لأنَّ الشَّجَاعَةَ تملأُ نَفْسَهُ. والإِيمَانُ يملأُ قَلْبَهُ ، والعَزِيمَةُ تملأُ صَدْرَهُ ، وهناك شَيْءٌ آخَرُ سَرَى في دَمِهِ عَبْرَ الأَجْيَالِ والقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ هَذَا الشَّيْءُ هُوَ سِرُّ البَقَاءِ والخُلُودِ.

سَرَى هَذَا السِّرُّ في دَمِ الشَّاويشِ مُحَمَّد. وسَرَى في قَلْبِ فِتْيَاتِ مَكْتَبِ بورسعيد، سَرَى في أعصابِ الضابطِ البحريِّ جلالِ الدسوقي. وسَرَى في عَقْلِ الطالِبِ الجامعيِّ " جوادِ حسنى " .

(١) أملت : جعلتها ملكاً للأمة بعد أن كانت ملكاً للأجانب .

(٢) نقيض : عكس أو خلاف .

وسرى هذا السر في دم كل فتى وكل فتاة ، فكتب لمصر في بورسعيد النصر والخلود.

كان (الشاويش محمد) فلاحاً ، طويل القامة ، أسمر اللون ، صعيدى المنشأ ، وعندما جاء العدوان الثلاثى الغادر كان فى إجازة بين أهله وقومه وما أن سمع بهذا العدوان ، حتى قطع إجازته وذهب مسرعاً إلى فصيلته فى قطاع فلسطين ليؤدى واجبه.

وبالقرب من موقع القتال عرف أن قوته التى يعمل معها اشتبكت فعلاً مع اليهود ، فراح يبحث عن سيارة تحمله إلى موقع فرقته.

وعثر على سيارة كانت ذاهبة إلى "القصيصة" فقفر إليها بسرعة ، وانطلقت به.

وفى أبى عجيلة أوقف البوليس الحرى السيارة ، ومنعها من التقدم ، لأن الضرب على أشده فى "القصيصة". ولم ينتظر الشاويش محمد بل قفر من السيارة ليذهب إلى خط النار.

ووصل إلى الموقع وكان جنوده فى انتظاره ، وفى انتظار توجيهاته وتعليماته وآرائه.

وألقى بملابسه وارتدى ملابس الميدان .. وكانت النبه "١٨٣" تعيش تحت وابل من طلقات مدافع العدو ... مدافع الأرض .. ومدافع السماء فإن الطائرات المحلقة لم تكن ترحمهم لا من قنابلها ولا من منشوراتها.

كانت الطائرات اليهودية تلقى عليهم منشورات مستمرة تطالبهم بالتسليم والاستسلام والكف عن القتال : وأصدر الشاويش محمد أمره إلى جنوده بعدم قراءة أى منشور . وبدأ ميكروفون الطائرة يذيع على القوات المصرية فى الموقع شروط التسليم ولم تهتز شجرة فى رأس محمد .

كان يروح ويغدو بين جنوده يبت^(١) فيهم من روحه وثباته وجراته ... وكان يساعدهم على اختيار الأماكن المناسبة.

ونبت الموقع المصرى أمام مدافع اليهود وقذائفهم ، وأحس الشاويش محمد أنها ليلة من ليالى العمر .. وطاف بجنوده يسألهم عن أحوالهم.

وكان يلمس شيئاً يبعث فيهم الأمل .. وجاءت النجدة من السماء.

حلفت قاذفة قنابل فوقهم ... واقتربت منهم ، وأطلق عليها الجندى صالح .. مدفعه البلاستيت .. وكان يعرف أنه مدفع مضاد للدبابات ... ولكنه عرف أيضاً أنه من الممكن استخدامه ضد الطائرات عندما تقترب منه.

(١) بيت : ينشر والمضاد : (بطوى).

وَسَقَطَتْ قَازِقَةُ الْقَنَابِلِ .

وَهَنَفَ الْجُنُودُ جَمِيعًا : "اللهُ أَكْبَرُ" .

لَقَدْ هَبَطَ عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْلٌ يَعِيشُونَ عَلَيْهِ، حَتَّى الصَّبَاحِ ، وَكَانَتْ لَيْلَةً حَالِكَةً السَّوَادِ .

لَمْ تَكُفْ ^(١) الْمِدْفَعِيَّةُ لَحْظَةً وَاحِدَةً ... وَبَقِيَ كُلُّ جُنْدِيٍّ فِي مَكَانِهِ ، أَمَّا الشَّوَيْشُ مُحَمَّدٌ فَكَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَانْتَصَفَ اللَّيْلُ ، وَلَاحَتْ عَنْ بُعْدِ سِيَارَاتِ الْعَدُوِّ الْمَصْفَحَةُ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الْمَوْقِعِ ، وَأَصْدَرَ الشَّوَيْشُ مُحَمَّدٌ أَوْامِرَهُ بِعَدَمِ الْحَرَكَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْكَفِّ ^(٢) عَنْ إِطْلَاقِ النَّيْرَانِ .

وَتَقَدَّمَتِ الْمُصَفَّحَاتُ ... وَوَصَلَتْ إِلَى بُعْدِ أَمْتَارٍ مِنَ النَّبَةِ وَتَحَطَّتْ مُصَفَّحَتَانِ مِنْهَا الْأَسْلَاحُ الشَّائِكَةُ .

وَفَجْأَةً أَصْدَرَ الشَّوَيْشُ مُحَمَّدٌ أَمْرَهُ بِالضَّرْبِ ، وَانْطَلَقَتْ كُلُّ مَدَافِعِ الْمَوْقِعِ صَوْبَ مُصَفَّحَاتِ الْعَدُوِّ وَاشْتَعَلَتِ النَّيْرَانُ فِي سِيَارَتَيْنِ مِنْهَا وَانْسَحَبَتْ بَقِيَّتُهَا وَشَدَّدَتْ مِدْفَعِيَّةُ الْعَدُوِّ الضَّرْبَ .
وَاسْتَمَرَّتِ الْمَعْرَكَةُ سَاعَةً كَامِلَةً ... ثُمَّ بَدَأَتْ تَخِفُ حَدَّتْهَا . وَعَادَ الشَّوَيْشُ مُحَمَّدٌ يَطُوفُ بِجُنُودِهِ، يَشُدُّ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَيُقَوِّي مِنْ عَزَائِمِهِمْ ... وَفَجْأَةً بَدَأَ مَوْكِبٌ جَدِيدٌ مِنْ مُصَفَّحَاتِ الْعَدُوِّ .. كَانَ حَشْدًا أَكْبَرَ مِنْ الْأَوَّلِ .

وَفَعَلَ بِهِمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ كَمَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ، وَاسْتَمَرَ الْأَشْتِيَاكُ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَتَيْنِ ... ثُمَّ بَدَأَ الْعَدُوُّ يَنْسَحِبُ مَرَّةً أُخْرَى تَارِكًا جَرَحَاهُ وَمُصَفَّحَاتِهِ .

وَعَادَتِ الطَّائِرَاتُ بِأَصْوَاتِهَا وَقَذَائِفِهَا .

وَمَعَ الْفَجْرِ بَدَأَتْ مَعْرَكَةٌ جَدِيدَةٌ ، لَمْ تَنْتَهَ إِلَّا بَعْدَ السَّابِعَةِ صَبَاحًا .

وَبَدَأَتْ خَسَائِرُ الْعَدُوِّ تَلُوحُ ^(٣) أَمَامَ جُنُودِنَا الشُّبَّانِ ، وَتَمَلَّأَ أَرْوَاحُهُم بِالْعَزِيمَةِ وَالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ .

وَعَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ أَخَذَ الشَّوَيْشُ مُحَمَّدٌ يُحْصِي قَوَاتِهِ وَخَسَائِرَهُ .

لَمْ يَخْسَرْ جُنْدِيًّا وَاحِدًا .. كَانُوا كُلُّهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ وَارْتَفَعَ صَوْتُ الشَّوَيْشِ مُحَمَّدٍ يَعُدُّ خَسَائِرَ الْيَهُودِ .

اِثْنَتَا عَشْرَةَ مَصْفَحَةً وَمَائَتًا قَتِيلًا .

وَعَادَتِ الطَّائِرَاتُ الْيَهُودِيَّةُ تَحْمِلُ إِنْذَارًا بِالنَّسْلِيمِ إِنْذَارًا بِالْمُنْشُورَاتِ ، وَالتَّقَتِ الشَّوَيْشُ مُحَمَّدٌ إِلَى قَوَاتِهِ

(١) تكف : تمتنع وتتوقف .

(٣) الكف : الامتناع .

(٣) تلوح : تظهر .

يَأْمُرُهُمْ مِنْ جَدِيدٍ بِالِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمٍ جَدِيدٍ وَمَعْرَكَةٍ جَدِيدَةٍ.

وَعَلِمَ وَقَتْنِيذٍ قَائِدُ الْجَيْشِ بِقِصَّةِ الشَّائِيشِ مُحَمَّدٍ ، فَأَمَرَ بِتَرْقِيَّتِهِ إِلَى رُتْبَةِ مُلَازِمٍ ثَانٍ.

وَكَمَا سَرَى سِرُّ الْمَجْدِ وَالْخُلُودِ فِي دَمِ الشَّائِيشِ مُحَمَّدٍ ، سَرَى أَيْضًا يَا وَلَدِي فِي قَلْبِ فَتَيَاتِ مَكْتَبِ الْبَرْقِ بِبُورْسَعِيدٍ ، فَإِذَا هُنَّ شَعْلَةٌ مِنَ الْحَمَاسَةِ الْخَالِصَةِ وَتِيَّارٌ مُتَدَفِّقٌ مِنَ الْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ.

أَقْبَلَ الْإِنْجِلِيزُ نَحْوَ هَذَا الْمَكْتَبِ لِيَسْتَوْلُوا عَلَيْهِ ، وَلِيَقْطَعُوا الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَّةَ مِنْ سُبُلِ الْمَوَاصِلَاتِ الَّتِي تَرْتَبُطُ بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَبُورْسَعِيدٍ ، وَلَكِنَّ فَتَيَاتِ هَذَا الْمَكْتَبِ أَوْ كَمَا نَسَمِيَهُنَّ "الْفِدَائِيَّاتِ الْأَرْبَعُ" وَمَنْ بَقِيَ مَعَهُنَّ مِنَ الْمُوظَّفِينَ أَصْرُوا عَلَى عَدَمِ التَّسْلِيمِ مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ.

وَسَدَّدَ الْإِنْجِلِيزُ نِيرَانَ مَدَافِعِهِمْ ، وَبَدَأَ الضَّرْبُ فِي مَكْتَبِ الْبَرْقِ ، فَإِذَا الْفَتَيَاتُ الْفِدَائِيَّاتُ يُطْلَقْنَ مَدَافِعَهُنَّ الرِّشَاشَةَ دِفَاعًا عَنْهُ. وَأَقْبَلَ شَبَابُ الْمَقَاوِمَةِ الشَّعْبِيَّةِ نَحْوَهُنَّ لِمَسَاعَدَتِهِنَّ ، فَازْدَدْنَ حَمَاسَةً وَدِفَاعًا ، لَجَأَ الْإِنْجِلِيزُ وَالْفَرَنْسِيُّونَ إِلَى أُسَالِيْبِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ ، فَرَفَعُوا الرَّايَةَ الْبَيْضَاءَ فَوْقَ هَذَا الْمَكْتَبِ ، لِيُوهِمُوا رِجَالَ الْمَقَاوِمَةِ الشَّعْبِيَّةِ - الَّذِينَ كَانُوا يَسُدُّونَ نِيرَانَهُمْ الْحَامِيَّةَ عَلَى دَبَابَاتِ الْعَدُوِّ مِنْ نَوَافِذِ الْمَنَازِلِ الْمَجَاوِرَةِ - أَنَّ فَتَيَاتِ الْمَكْتَبِ قَدْ اسْتَسْلَمْنَ وَانْتَهَى الْأَمْرُ.

أَدْرَكَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ حَقِيقَةَ الرَّايَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ خَدِيعَةٍ ، فَنبَهَتْ زَمِيلَاتِهَا ، فَعُدْنَ يُرْسِلْنَ إِلَى دَبَابَاتِ الْعَدُوِّ وَابِلًا مِنْ رِصَاصِ مَدَافِعِ الرِّشَاشَةِ.

وَعِنْدَئِذٍ أَدْرَكَ رِجَالَ الْمَقَاوِمَةِ الشَّعْبِيَّةِ فِي الْمَنَازِلِ الْمَجَاوِرَةِ أَنَّ الْفَتَيَاتِ الْأَرْبَعِ لَمْ يَطْلُبْنَ التَّسْلِيمَ ، وَبِذَلِكَ عَادَتِ الْمَقَاوِمَةُ مِنْ جَدِيدٍ حَتَّى صَدَرَتْ الْأَوَامِرُ الْمَعْرُوفَةُ بِوُقُوفِ إِطْلَاقِ النَّارِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ.

هَذَا هُوَ سِرُّ النُّصْرِ وَالْخُلُودِ الَّذِي سَرَى فِي قَلْبِ الْفَتَيَاتِ الْفِدَائِيَّاتِ الْأَرْبَعِ ، فَخَلَقَ مِنْهُنَّ خَلْقًا جَدِيدًا وَأُسْطُورَةً تَتَعَلَّى بِهَا الْأَيَّامُ.

وَسَرَى سِرُّ الْمَجْدِ وَالْخُلُودِ فِي دَمِ الضَّابِطَيْنِ الْبَحْرِيَّيْنِ: جَلَالِ الدُّسُوقِيِّ ، وَعَلَى صَالِحٍ ، فَإِذَا كُلُّ مِنْهُمَا قُوَّةٌ خَارِقَةٌ ، وَفِدَائِيٌّ يَذَاغُ اسْمُهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ. خَرَجَ جَلَالُ الدُّسُوقِيِّ فِي زَوْرَقِهِ إِلَى عَرْضِ الْبَحْرِ ، فِي سُرْعَةٍ رَهْبِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ أَصْدَرَ أَوَامِرَهُ إِلَى زَوْرَقَيْنِ آخَرَيْنِ بِاقْتِفَاءِ أَثَرِهِ.

انْطَلَقَ هَذَا الْفِدَائِيُّ إِلَى سُفْنِ الْعَدُوِّ ، وَكَانَتْ قَدْ حُشِدَتْ أَمَامَ بَحِيرَةِ الْبُرْلُسِ وَمَا إِنَّ رَأْيَهَا حَتَّى اخْتَارَ مِنْهَا أَقْوَاهَا بَطْشًا ، وَأَكْثَرَهَا رِجَالًا ، وَأَثْقَلَهَا وَزْنًا ، وَكَانَتْ طَرَادَةٌ فَرَنْسِيَّةٌ تُفَاخِرُ بِهَا فَرَنْسَا ، تُعْدهَا مِنْ خَيْرِ مَا تَمْلِكُ مِنْ قِطْعٍ بَحْرِيَّةٍ.

دَارَ حَوْلَهَا الْفِدَائِيُّ جَلَالُ الدُّسُوقِيِّ وَسَدَّدَ نَحْوَهَا "طُورِبِيدًا" جَعَلَهَا تَتَمَائِلُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَبَحَارَتْهَا مِنْ

فوقها يَصِيحُونَ وَيَصْرخُونَ. وفي دَقَائِقَ معدوداتٍ شَبَتِ النارُ في جوانِبِها وبدأتْ تَغوصُ إلى أعماقِ البحر. وعادَ هذا البطلُ وخَلْفَهُ زوارقُ الطوربيدِ المصريةُ ، وفي أثناءِ عودِها رأتْ من بُعْدٍ مُدمِّرةً فرنسيَّةَ أُخْرَى.

وما هِيَ إِلَّا لَحْظَاتٌ حتَّى اندَفَعَ زَوْرَقُ آخَرُ بقيادةِ زميلِهِ "على صالح" نحوَ المدمِّرةِ الثانيةِ. فداعَبَها "بطوربيد" من زَوْقِهِ لينالَ الشرفَ الذى نالَهُ زميلُهُ الفدائِيُّ جلال الدسوقي.

واستقرَّ "طوربيد" (١) على صالح فى المدمِّرةِ الثانيةِ ، فإذا هِيَ تَغوصُ بدورها فى أعماقِ الماءِ.

وفى طريقِ العودَةِ رأى البطلانِ الفدائيَّانِ سربًا من اثنتى عشرة طائِرةً تُحَلِّقُ فوق رؤوسِهِم وإذا قنابلُها تَدُكُ الزَّورقينِ دكا.

ولكنَّ أبطالًا أبوا إِلَّا أن تكونَ لَهُم معركةٌ مع الطائراتِ كما كانتَ لَهُم معركةٌ مع المدمِّراتِ ، فأطلقوا نيرانَهُم ودافعوا عن زوارِقِهِم دِفَاعَ الأبطالِ ، ولكنَّ سربَ الطائراتِ انقضَّ عليهم انقضاضَ الصاعقةِ ، والرصاصُ يتساقطُ عليهم من كلِّ جانبٍ.

كانَ فى مَقْدورِ البطلَيْنِ وَمَنْ مَعَهُمَا أن يَفِرُّوا إلى الماءِ هربًا ، ولكنَّهُم فَضَّلُوا البقاءَ فى زوارِقِهِم وأن يَغوصُوا مَعَهَا إلى الأعماقِ شُهَدَاءَ أبرارًا بَعْدَ أن ضَرَبَ كُلُّ مِنْهُم للأجيالِ القادمةِ خَيْرَ المَثَلِ فى التَّضَحِّيَةِ والفِدَاءِ.

وسرى سِرُّ البقاءِ والخُلُودِ فى دَمِ الطالبِ "جوادِ حُسْنى" ، فانطلقَ فى ركبِ الحرسِ الوطنى يُلبى نِداءَ الوطنِ ، عندمَا وَقَعَ العدوانُ الثلاثىُّ الغادرُ على وطنِهِ الحبيبِ.

وذاَتَ مَسَاءٍ تَسَلَّلَ "جواد" من بينِ أفرادِ كتيبتِهِ - وكانتْ مرابطةً عند الكيلو ٣٩ فى طريقِ الكابِ شرقى قناةِ السويس - تَسَلَّلَ مُنفَرِّدًا واتَّخَذَ مَوْقِعًا يُشْرِفُ على كتيبةِ فرنسيَّةٍ كانتْ بالقربِ مِنْهُم ، وأَخَذَ "جواد" يُطلقُ النارَ بَعْنَفٍ من مدفعِهِ الرشاشِ ، فدُعِرَ الفرنسيونَ ، وخالوا أَنَّهُم أمامَ فرقةٍ كاملةٍ من الفدائيين. وعندئذٍ حاصروا الموقِعَ الذى تنطلقُ مِنْهُ النيرانُ بالدباباتِ والسياراتِ المصفحةِ ، وسدُّوا مدافعهم نحوَ جوادِ.

وظلَّ البطلُ يُطلقُ النيرانَ طَوَالَ الليلِ ، وفجأةً توقَّفَ مدفعُ "جوادِ" " لقد أغمى عليه مِنْ فرطِ ما نَزَعَتْ جِراحُهُ من دِمَاءٍ ، وتقدَّمتِ المصفحاتُ والدباباتُ الفرنسيةُ نحوَ البطلِ ... وصُعِقَ الفرنسيونَ عندما وجدُوا أَنفُسَهُم أمامَ فِدائِيٍّ واحدٍ ، لا أمامَ فرقةٍ كما تصوَّروا.

(١) سرِّياً : مجموعة ، والجمع : (أسراب).

فدائئى واحدٌ من شبابِ مصرَ ، سرى فيه سر المجدِ والخلودِ يا ولدى ، فإذا به قوةٌ صاعقةٌ ونازٌ مُحرقَةٌ يعملُ العدوُّ لها ألفَ حساب.

وُقِّلَ "جوادٌ" إلى معسكر الأسرِ ببورفؤاد ، وطَلَبَ منه الفرنسيون الإِدلاءَ بأية معلومات عن مواقع الفدائيين المصريين ووعدوه بإطلاقِ سراحِهِ إنْ هُوَ أدلَّى إِلَيْهِم بهذه المعلومات ... ولكن البطلَ لادَّ بالصمتِ^(١)

وصدرت الأوامرُ باستعمال أبشع وسائل التعذيب مع " جواد " لكى يتكلم، كى يبوح بأسرار بلاده، فكان الحرق بأعقاب "السجائر" وكان الوحز "بالسونكى" والربطُ بالحبال والكى بالنار، ولكن جواداً لم يتكلم ، بل مد إصبعه الواهن فى واحد من جروحه المتعددة ، وغمسه فى دمائه الطاهرة وأخذ يسطر على الحائط قصته ... بعبارة كتب لها الخلود نذكرها فيما يلى:

"يا أخى :

اسمى " جوادُ " طالب بكلية الحقوق .. فوجئتُ بالغرباء يقذفون أرضى بالقنابل ، فنهضتُ لنُصرة وطنى وإنقاذ أرضى .. والحمد لله .. لقد شَفِيتُ غليلى فى أعداء البشرية وأنا الآن سجين وجرحى ينزف بالدماء ... أنا الآن فى معسكر الأعداء .. أنا هنا أتحمل كل وسائل التعذيب والإرهاب .. لكن يا ترى هل أعيشُ؟.. ليس المهم أن أعيش .. وإنما الأهم أن أرى النصر ، وأن أشهد هزيمة الأعداء".

ولمَّا يئس الأعداءُ مِنْ أن يَبُوحَ لَهُمْ بشيءٍ من أسرار زملائه فى فرقة المُقاومة الشعبية أطلقوا عليه نيرانَهُمْ ، ليُخمدوا أنفاسَهُ إلى الأبد ولكن بقيتُ روحُهُ تشهدُ بعظمةِ أبناءِ مصر .. وعظمةِ شَبابِهَا.

بهذه الروح القويَّة ، وبسرِّ البقاءِ والخلودِ الذى يسرى فى دم كلِّ مصرى ، كُتِبَ لمصرَ النصرُ المبينُ. لقد استطاعتْ كتائبُ المقاومة الشعبية أن تصنعَ المعجزاتِ، لقد استطاعوا أن يَغْلِبُوا بريطانيا وفرنسا وإسرائيلَ ومعهم البقيةُ الباقيةُ من الدول الاستعمارية. لقد استطاعتْ كَتَائِبُ الشعبِ أن تُقْتَلَ الآلافَ من الجنودِ وتدمَّرَ الآلافَ من عَدَدِهِ وعتادِهِ ، وتُسْقَطَ الكثيرَ من طائراتِهِ ، وتغرَّقَ الكثيرَ من مدمراتِهِ.

لقد قال "كنلى" قائدُ القُوَّاتِ البريطانيَّةِ والفرنسيَّةِ والإسرائيليَّةِ :

سأضربُ مصرَ بلا هَواةٍ أو شفقة، حتى تَقَعَ ذليلةً وتُقْلَعَ عن كِبَرائِهَا.

ضَرَبْتُ يا "كنلى" مصرَ بطائراتِكَ ودبَّاباتِكَ وأساطيلِكَ، فماذا جِئْتُ؟ وماذا كانَ مصيرُكَ؟

ضَرَبْتُ مصرَ يا "كنلى" بلا هَواةٍ^(٢) أو شفقة ، وفَعَلْتُ كلَّ ما يَحُلُو لك .. فماذا وَجَدْتُ من شَعْبٍ

(١) رمم : المفرد (رمة) وهى العظام البالية .

(٢) بلا هواة : بلا ضعف .

مصر؟

لقد وَجَدْتُهُ أَثْبَتَ من الجبال وأصلبَ من الحديد وال فولاذ ... لم تُرْهِبُهُ غَوَاصَاتُكَ ولم تَخَفْهُ طَائِرَاتُكَ ولم تُرْعِبْهُ مُدْمِرَاتُكَ ... لقد آمَنَ شعبُنا يا "كِتلى" بنفسه وانطلقَ يُلقِنَ جنودك دَرْسًا لِن يَنْسَاهُ الأحياءُ مِنْهُمْ إلى الأبد. لقد حملَ عليهم حملة رجلٍ واحد ، فإذا جنودُ الدولتين العظيمتين رَمَمَ ^(١) سَابِحَةً فى الدماءِ ، وجثثٌ طافيةٌ على صفحاتِ الماءِ ، وصَرَخَاتٌ تَتَرَدَّدُ فى أرجاءِ الفضاءِ. وإذا الشعبُ المصرىُّ يا ولدى يُرَدِّدُ نشيدَ النصرِ ، ويملأُ أَسْمَاعَ الدنيا بِأَمْجَادِهِ ، وانتصاراتِهِ ، فاضْطَرَّتْ جُيُوشُ الأعداءِ أَنْ تَنْسَحِبَ من مصرَ وتعودَ من حَيْثُ أَتَتْ.

بذلك حَمَى شَعْبُنَا المَجيْدُ بِلَدِهِ وَأَرْضَهُ وَقَنَاتَهُ والعروبةَ كُلَّهَا.

بذلك ارتفعَ عَلمُ مصرَ خَفَافًا فى أرجاءِ الفضاءِ ، يَحْكى للأجيالِ القادمةِ قِصَّةَ كِفَاحِ هذا الشَّعبِ المَجيْدِ.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

- (١) ما معنى تأميم قناة السويس ؟ وما أثر ذلك التأميم فى المصريين؟
- (٢) لماذا اجتمع الساسة فى أوروبا؟
- (٣) ما الدول التى غزت مصر فى عام ١٩٥٦؟
- (٤) وضح دور كل من هؤلاء الأبطال فى صد العدوان الثلاثى على مصر.
- (الشاويش محمد - فتيات مكتب بورسعيد للبرق - الطالب جواد حسنى - جلال الدسوقي و على صالح)
- (٥) اذكر السر الذى سرى فى دماء هؤلاء الأبطال السابقين. وما أثره؟
- (٦) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :
- (أ) قدر المستعمرون للغزو ستة أيام يستولون فيها على القناة. ()
- (ب) خسر (الشاويش محمد) معركته فى "القسيمة". ()
- (ج) عمد العدو إلى رفع الراية البيضاء فوق مكتب البرق فى بورسعيد. ()
- (د) ظل (جواد حسنى) يضرب العدو حتى ظنوه فرقة كاملة. ()

(١) رمم : المفرد (رمة) وهى العظام البالية .

عادت إسرائيل تُهاجم مصرَ مرّةً أخرى ، ومن ورائها الدولُ الاستعمارية ويهودُ العالم يؤيدونها بكلّ السُّبلِ والوسائلِ .

وكانَ هذا الهجوم ^(١) على مصرَ مفاجأةً ونكسةً وصَلَتْ بها إسرائيلُ إلى شرقيّ قناةِ السويسِ بعد أن خسرَ الجيشُ المصريُّ أكثرَ معدّاته وذخيرته .

ولكنّ شعبَ مصرَ الخالدَ أبى ^(٢) الخضوعَ والاستسلامَ ... أبى أن يقبلَ النكسةَ والهزيمةَ ... أبى الدّلَّ والهوانَ ، لأنه شعبٌ صُلْبٌ بتكوينه ، عظيمٌ بأصله ، عزيزٌ بطبيعته ، قوىٌ بعزيمته وإرادته .

لَقَدْ صَمَدَ الشَّعْبُ المصريُّ وأعلنَ في يومى ٩ ، ١٠ من يونية سنة ١٩٦٧ أنه لن يستسلمَ لهذه النكسةِ والهزيمةِ ، وصاحَ بأعلى صوته في كلِّ مكانٍ قائلاً: « لَنْ يُرْهِبَنَا ^(٣) العدوُّ بطائراته » .

وبدأت مصرُ تعيدُ بناءَ جيشها بعد نكسةِ يونيو ١٩٦٧ م ، راحت تُسلّحُه بأحدثِ الأسلحةِ وأحسنها ، وراحت تُنظّمُه بأحدثِ أساليبِ الحربِ والقتالِ ، وراحت تُدخِلُ فيه العناصرَ المتعلّمةَ لتزيدهُ وعياً وإدراكاً للرّسالةِ المُلقاةِ عَلَيْهِ .

وظَهَرَتْ بَوَادِرُ العزمِ والصمودِ فى مظهرينِ هامين: الأولُ فى إغراقِ المدمرةِ البحريةِ (إيلات) بطوربيدٍ مصرى ، عندما اقتربت من السواحلِ المصريةِ ، فَتَحَطَّمَتْ أَجْزَاؤُهَا وَتَنَاقَرَتْ فى الماءِ وابتلعَ البحرُ رجالَها وجنودَها ، وأدركَتِ البحريةُ الإسرائيليةُ أن سلاحَ مصرَ البحرى يُعْمَلُ له ألفُ حساب ، والأمرُ الثانى ، هَذَا الصُّمُودُ فى هزيمةِ إسرائيلِ فى مَوْقِعَةِ المدافعِ عندَ قَنَاةِ السويسِ ، حيثُ دُكَّتْ مواقعُها وَحُطِمَتْ دَبَابَاتُهَا وَوَلَّى رجالُها هاربين ، بعد أن قُتِلَ مَنْ قُتِلَ وَجُرِحَ مَنْ جُرِحَ .

بمثلِ هذا العَمَلِ الحَرْبِيِّ أدركَ العالمُ كُلُّهُ أن شعبَ مصرَ عزمَ على الصُّمُودِ كعادته فى كلِّ العصورِ .

وفى الوقتِ ذاته راحَتِ مصرُ تَدْعِمُ المَقَاوِمَةَ الفِلَسْطِينِيَّةَ داخلَ الأراضى المحتلة ، وراحت تُساندُها وتؤيِّدُها وتَدْعِمُها حتى أصبحت أشواكاً تُؤَلِّمُ إسرائيلَ وتُفْلِقُها ، وتَعْمَلُ لها ألفَ حسابٍ ، وَمَضَى عامٌ على

(١) هذا الهجوم : إشارة إلى هجوم إسرائيل على مصر يوم الخامس من يونية ١٩٦٧ م .

(٢) أبى : رفض .

(٣) يرهبنا : يخيفنا .

نكسة يونية ١٩٦٧م ، أثبت فيه شعب مصر صموده وصلابته وعزمه وقوة إرادته.

وبعد مرور عام تحوّل شعب مصر من مرحلة الصمود إلى مرحلة الردع، في هذه المرحلة راحت صواريخنا تترمجر.

وراحت مدافعنا تضرب وكأنها الرعد والبرق والسيل المنهمر.

وراحت مدافعنا وصواريخنا تدكّ حصون العدو ، وراحت تحطم طائراته وتهبط بها إلى الأرض .

وراحت صواريخنا تحطّم و تضرب تجمّعات العدو، وتُسكّت مصادير نيرانه.

وراحت طائراتنا تضرب وتردّ الضربات بأقوى منها.

وراح الفدائيون يتسلّلون ليلاً ونهاراً داخل إسرائيل يضربون المستعمرات ويخربون الطرقات ويبثّون الألغام ، ويدكّون "محطات" النور والمياه حتّى حلّ الخوف والقلق والاضطراب في إسرائيل ، وعاش أهلها في الخنادق ليلاً ونهاراً. ولم تعدّ لهم حدود آمنة كما كانوا يزعمون.

وقد تجلّى ^(١) الصمود المصري في هُجوم إسرائيل براً وبحراً جواً على جزيرة "شدوان". هذه الجزيرة المصرية الرابضة ^(٢) عند مدخل خليج السويس ، والمعزولة في الماء.

ظلت هذه الجزيرة تقاوم العدو وتصدّ أمامه صمود الجبال ، حتى استطاعت في النهاية أن تتنصّر فتحظّى بإعجاب العالم ، واستطاعت بفضل ثباتها أن تُضيف إلى أمجاد مصر صفحة جديدة حافلة بالمجد والفخر.

وضع العدو كلّ جهده وكلّ قوّته في غزو شدوان وراحت إذاعته تمهّد للنصر في هذا الغزو .

لقد اختار العدو هذه الجزيرة الصغيرة والمعزولة والتي ليس فيها غير مجموعة صغيرة من الرجال ، ليحقّق نصرًا يجد فيه وسيلةً للدعاية.

على عاتق ^(٣) هذه المجموعة الصغيرة من الرجال وقع عبء ردّ هذا الغزو فوقف رجالها البواسل يُقاتلون العدو ، ويدافعون عن كل شبر من أرض هذه الجزيرة.

(١) تجلّى : ظهر ووضح .

(٢) الرابضة : المقيمة ، والمراد (الثابتة).

(٣) عاتق : ما بين المنكب والعنق والجمع (عواتق).

كان عليهم أن يقولوا - نحن أبناء مصر - لن نسمح للعدو بخطوة واحدة إلى الأمام ، ولن نسمح له أن يحتل شبراً واحداً من أراضينا ، قالوا ذلك بالصمود والثبات في القتال .

لقد صمدوا في عنادٍ عربى مصرى أصيل ... رابط كل منهم في موقعه وقاتل قتالاً عنيفاً . ولم تخفهم إمدادات العدو المتلاحقة . ولم تنثن ^(١) من عزيمتهم طائرات العدو التى تلقى قنابلها فى شدة وعنف . من كل مكان ظن العدو أن يضرب فيه وهو آمن ، كان يجد نيران جنود هذه الجزيرة الصغيرة تلاحقه . كانت هذه النيران تلاحقه من كل موقع ، ومن كل هضبة ، ومن كل نتوء ^(٢) صخري ، ومن كل شبر فيها ، بلا يأس ولا خوف ولا تردد .

كانت الروح المصرية تقاوم بكل حزم وعزم ساعات مُتصلة ، بلا ملل حتى أدرك العدو أنه لن يقوى على البقاء فى هذه الجزيرة ، ومضى يتراجع وينسحب أمام الإرادة المصرية . واعتترف العدو ببسالة الدفاع المصرى .

وظلت الرؤية المصرية تخفق على الجزيرة المناضلة .

وظلت رُعوس الرجال والنساء والأطفال مرفوعة فى عزّة وكرامة .

وفى مرحلة الردع ، ضربت الضفادع المصرية ضربتها الثانية فى ميناء (إيلات) الإسرائيلية .

ركبت الضفادع البشرية ^(٣) طائرة من نوع الهليكوبتر وكلهم ثقة فى النصر والفوز ، راحت هذه الطائرة تطير نحو هدفها على ارتفاع مُخفضٍ وسط تلال سيناء ، ونزلت الطائرة فى مكانٍ محددٍ لها وسط أمواج البحر .

وأخذت كل مجموعة تُعد العدة لنسف القطعة البحرية المخصصة لها وتُعطى لهم التعليمات الهامة ، وتضبط الساعات و "البوصلات" ، وعندما اقتربوا من الأهداف حملوا العبوات الناسفة المدمرة حتى وصلوا بها إلى السفن الحربية التى جاءوا لتدميرها وأعطيت إشارة البدء فدوى الانفجار ، وهب سكان ميناء إيلات من نومهم مذعورين ، لقد دوى انفجار رهيب ، وانذلعت النيران فى الميناء تضىء ظلام الليل .

وفى هذه اللحظة انطلقت إذاعة مصر تؤكد هذا النبأ وتقول :

(١) لم تنثن : لم تضعف .

(٢) نتوء : بروز .

(٣) الضفادع البشرية : المراد القوات البحرية التى تنزل فى أعماق البحر .

"قامت قواثنا الخاصة البحرية المنقولة جواً للمرة الثانية بمهاجمة قطع الأسطول البحرى الإسرائيلى فى ميناء إيلات على خليج العقبة".

لقد تمَّ نقلُ مجموعةٍ من الضفادع البشرية المحمولة جواً إلى المنطقة القريبة من ميناء إيلات فى سيناء، حيثُ نزلت إلى المياه واقتربت من أهدافها داخل الميناء العسكرى الإسرائيلى ووضعت عبوات كبيرة من المتفجرات على جسم كلٍّ من ناقلة الدبابات الثقيلة "بيت هيشع"، وعلى سفينة النقل العسكرية المسماة: "بيت يام" وهى تستخدم فى نقل الجنود والمعدات وقد انفجرت العبوات، وأحدثت الانفجارات دويًا هائلًا، واشتعلت النيران فى كلٍّ من القطعتين البحريتين وغرقتا بما كانَ فيهما من أفراد ومعدات كانت مُعدَّة لعملية عسكرية يُدبر لها العدو".

وتخطت مصرُ مرحلة الصمود وردع العدو، وأخذت بزمام المبادرة فى البرّ والجو والبحر، وأصبحت تعبرُ القناة مرّاتٍ فى اليوم الواحد، لتثير فى العدو الرعب والخوف.

إنَّ مصرَ التى استطاعت بصبرها وشجاعتها وعزيمتها أن تطرد الهكسوس وتهزم الفرس، وتقف فى وجه المغول، والصليبيين، وتشتت الأتراك، وتطرد الفرنسيين وتدوخ الإنجليز، قادرة على أن تفعل بإسرائيل ما فعلته بكلٍّ أجنبيٍّ دخيل.

لقد برهن شعبُ مصرَ من عهد الفراعنة حتى الآن أنه شعبٌ شجاع، يأبى الدلّ والهوان، لقد برهن فى كلِّ العصور على صدق ما قاله المؤرخ وعالم الآثار الكبير "ماسبيرو":

"إنَّ مصرَ خالدة على الزمن .. فكم من مرّة دخلها الغاصبون، وظنُّوا أنهم قلبوا مدنها أنقاضاً فوق سكّانها فإذا شعبُ مصرَ ينفُض عنه ما ظنَّه الغاصبونُ فناءً، ويُبعثون من تحت الأرض أعزةً أقوياء".

هذه طبيعةُ شعب مصرَ، وهذه صورةٌ من قوته وصلابته على مدى العصور والقرون ومهما مرّت به المحنُّ والشدائدُ فهو أقوى من المحنِّ وأصلبُ من الشدائد.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

- ١) ظهرت بوادر عزم وصمود الشعب المصرى فى مظهرين . اذكرهما.
 - ٢) كيف تجلى الصمود فى جزيرة "شدوان" ؟ ولم اختار العدو تلك الجزيرة؟
 - ٣) وضح دور الضفادع المصرية فى ميناء (إيلات) الإسرائيلى.
 - ٤) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :
- أ- فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ احتلت إسرائيل مدن القناة كلها. ()
 - ب- أعلن الشعب المصرى رفضه للهزيمة وأعاد بناء جيشه من جديد. ()
 - ج- صمدت جزيرة "شدوان" أمام العدو وظلت راية مصر مرفوعة عليها. ()
 - د- أثبت الشعب المصرى على مر العصور صلابته أمام الشدائد. ()

قام العدو الإسرائيلي بعد نكسة ١٩٦٧ بتحصين نفسه فأنشأ خط "بارليف" على امتداد الساحل الشرقي لقناة السويس لمنع هجوم المصريين ، ولضرب أية قوات تحاول عبور القناة. وقد جهز خط "بارليف" بأقوى التحصينات ، وأحدث المعدات الحربية. ومواقع هذا الخط تتحكم في اتجاهات مختلفة لتعمر نيرانها أية قوات مصرية تحاول العبور ، في أى موضع من مواقع قناة السويس .

وفضلاً عن ذلك أعدت خزانات محكمة للمواد المتفجرة ، موزعة على مسافات مناسبة منتظمة ، تخرج منها أنابيب تحمل هذه المواد إلى سطح مياه قناة السويس فإذا ما أشعلت هذه المواد المتفجرة تحول سطح القناة إلى نار موقدة ، تلتهم كل شيء حولها.

وبجانب هذا كله أقامت إسرائيل سائرًا ثرايبًا على الضفة الشرقية بإرتفاع ١٥ - ٢٠ م ليمنع أية "دبابة" برمائية من الدخول إلا بعد إزالة هذا السائر الترابي ، وإزالته تتطلب جهدا كبيرا، ووقتا طويلا ، يُعطى لجيش إسرائيل الفرصة الكافية لملاقاة أى هجوم مصرى.

وبجانب مساعدات أمريكا فى إقامة خط "بارليف" ردت إسرائيل بأقوى الدبابات ، وأحدث الطائرات ، وأحسن المعدات ، حتى ظنت إسرائيل أنها فى برج مشيد ، وحصن حصين وموقع متين ، يستحيل اقتحامه.

بهذا الاستعداد الكبير أصبحت قناة السويس فى نظر رجال الحرب والسياسة أصعب الموانع المائية ، وأصبح عبوره أمرا صعب المأل ، وقد نسوا جميعا أن روح مصر الثائرة الخالدة تأبى الذل والهوان والهزيمة.

وكانت مصر فى هذا الوقت تستعد لملاقاة طائرات العدو بالصواريخ ، ولم يكن الأمر سهلاً ، إذ كان العدو يلاحق قواعد هذه الصواريخ بطائراته ، ولكن كانت القيادة العسكرية المصرية تنقل غابة الصواريخ وقواعدها ، تبعاً لخطة سرية، غاية فى الذكاء والتضليل ، وقد كان لهذه القواعد فضل كبير فى تدمير الطيران الإسرائيلى عندما جاءت ساعة العبور وساعة اللقاء.

وفى اللحظة المرتقبة - ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - اندفع الطيران المصرى يراز فى سماء سيناء ؛ ليحطم مطارات العدو ومواقعهم ، واندفع رجال الصاعقة فى قلب سيناء ، يدمرون منشآته وقواعده ومستودعات

الموادّ المُلتَهَبَة التي أُعِدَّتْ لإرسالِهَا مُشْتَعَلَةً فوق سَطْحِ مِيَاهِ قَنَاةِ السُّوَيْسِ.

وفى الوقتِ ذَاتِهِ كان المهندسون العسكريُّون يَفْتَحُونَ فِتْحَاتٍ واسعةً فى السَّائِرِ التُّرابيِّ ، بِقُوَّةِ المِيَاهِ ، وَيُقيِّمون الكباريَ والمعدَاتِ فوق القَنَاةِ لِتَعْبُرَ الدَّبَابَاتُ والعَرَبَاتُ المُصَفَّحَةُ والمُعَدَّاتُ الحربيَّةُ والجنودُ والمشاةُ إلى أرضِ سَيْنَاءَ.

وانتَشَرَتِ الدَّبَابَاتُ فى قلبِ سَيْنَاءَ فى كلِّ مكانٍ ، وَتَدَهَّشُ إِذَا عَرَفَتْ أَنَّ إِسْرَائِيلَ بَدَأَتْ الْقِتَالَ وَلَدَيْهَا أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ وَسَبْعِمِائَةِ دَبَّابَةٍ وَهُوَ عَدَدٌ يَفُوقُ مَا تَمْلِكُهُ إِنْجِلْتَرَا.

التَقَّتْ دَبَابَاتُ مِصْرَ بهذا العددِ الكبيرِ فَحَطَّمَتِ الجُزْءَ الأكبرَ مِنْهُ ، وَوَلَّى الباقى القليلُ الفِرَارَ. لقد انتصرتِ مِصْرُ فى مَعْرَكَةِ الدَّبَابَاتِ ، كما انتصرتْ فى مَعْرَكَةِ العُبُورِ والصَّوَارِيخِ.

وكانَ إِذَا قَابَلَ جُنْدِيٌّ مِنْ جُنُودِ المُشاةِ دَبَّابَةً مِنْ دَبَابَاتِ العدوِّ يَأْبَى الفِرَارَ ، كانَ يَنْدَفِعُ نَحْوَهَا ، وَتَنَجَّجُهُ هى نَحْوَهُ لِتَسْحَقَهُ وَتَمْشِي فَوْقَهُ ، كانَ يَقِفُ هذا الجنديُّ المِصرىُّ الشَّجَاعُ صامداً حتَّى إِذَا ما اقْتَرَبَتْ مِنْهُ أُخْرِجَ مِنْ جَيْبِهِ قُنْبَلَةٌ يَدَوِيَّةٌ وَفَجَّرَهَا فى داخِلِ الدَّبَّابَةِ ، فَإِذَا بِهَا حُطَامٌ بِمَنْ فِيهَا ، وَإِذَا هُوَ شَهِيدٌ بِجَوَارِهَا.

ولم يكن المهندسُ العسكىُّ أَقلَّ تَضَحِيَّةً وَفِدَاءً ، فَقَدْ أَلْقَتْ طَائِرَةٌ مِنْ طَائِرَاتِ العدوِّ قُنْبَلَةً على مَمَرِّ مَطَارِ مِصْرِيٍّ ، وَلَكِنها لَمْ تَنْفَجِرْ فَأُسْرِعَ نَحْوَهَا هذا المُهندسُ العسكىُّ وَحَمَلَهَا بَعِيداً ، قَبْلَ أَنْ تَنْفَجِرَ وَتَحْطُمَ ما حَوْلَهَا مِنْ طَائِرَاتٍ ، وما أَنَّ مَرَّتْ ثَوَانِ مَعْدُودَاتٍ حَتَّى انْفَجَرَتْ القُنْبَلَةُ بَعِيداً ، وَمَرَّقَتْهُ تَمْزِيقاً ، بَعْدَ أَنْ أَنْفَذَ كُلُّ ما كانَ فى الْمَمَرِّ مِنْ طَائِرَاتٍ مِصْرِيَّةٍ.

هَذِهِ الرُّوحُ المِصْرِيَّةُ الفِدَائِيَّةُ العَظِيمَةُ هى سِرُّ عُبُورِ هذا المانعِ المائىِّ العَظِيمِ ، وَسِرُّ تَحْطِيمِ خَطِّ بَارْلَيْفَ ، وَسِرُّ هَزِيمَةِ مِصْرَ لإِسْرَائِيلَ ، تِلْكَ الهَزِيمَةُ السَّاحِقَةُ الَّتِي حَطَّمَتْ إِسْرَائِيلَ تَحْطِيباً سِياسياً وَحَرْبِيّاً وَاقْتِصادِيّاً ، وَأَضَاعَتْ الثِّقَّةَ الدَّوْلِيَّةَ بِهَا ، وَأَصْبَحَ الحَدِيثُ عَنْ تَفَوُّقِهَا الحَرْبِيَّ وَهَمًّا وَخِيالاً.

سَأَلَ رَجُلٌ المَخْبَرَاتِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ ضابطاً طَبِيباً مِصْرِيّاً ، بَعْدَ أَنْ وَقَعَ فى الأَسْرَ قَائِلاً:

- ما اسمُ الحُبُوبِ الَّتِي تُقَدِّمُونَهَا لِلجُنُودِ المِصْرِيِّينَ فى أَثْناءِ الْقِتَالِ؟

فَقَالَ الأَسِيرُ المِصْرِيُّ:

ماذَا تُقْصِدُ بِكَلِمَةِ حُبُوبٍ؟

فأجابه :

الحبوبُ الطبيبةُ التي تُوزَّعونها على الجنود في أثناءِ الحرب ... وأنتَ ضابطُ طبيبٍ تُعرفُ ذلك من غيرِ شكٍّ ، فلا تُحاولِ الإنكارَ .

فَرَدَّ الطبيبُ المصريُّ الأسيرُ قائلاً:

- أنتَ تسألُ عن شيءٍ لَمْ أسمعْ به في حياتي .

فعادَ ضابطُ المخابراتِ الإسرائيلية يقول:

- معلوماً أننا موثوقٌ بها ... أنتم تُعطون الجنودَ حبوباً تُلْهبُ شعورهم وتجعلهم يُحاربون بروح انتحارية .

فَضَحِكَ الطبيبُ المصريُّ الأسيرُ وقال : مَنْ قالَ لَكُمْ هذه الأوهامَ والخُرافات؟ إِنَّكُمْ وَاهِمُونَ ولا تقولون إلا زوراً .

وراحَ ضابطُ المخابراتِ الإسرائيلية يُعَذِّبُ الطبيبَ الأسيرَ ... ليجبره على أن يَبْشِرَ بالسَّيِّئِ ، وأدرك الطبيبُ الأسيرُ أنه أمامَ مخبولٍ لا يُريدُ أن يُدركَ أن شجاعةَ المُقاتِلِ المصريِّ مُنبَعِثَةٌ من أعماقِ إيمانه بأرضِهِ ووطنِهِ ، فاضْطَرَّ أن يَهْزَأَ به ويقول:

- إِنَّا نَتَنَاولُ حُبُوبَ الشَّجَاعَةِ قَبْلَ الْقِتَالِ .

وَتَصَوَّرَ ضابطُ المخابراتِ الإسرائيلية أنه تَوَصَّلَ إلى سِرِّ شجاعةِ المُقاتِلِ المصريِّ وتَحَدَّيهِ الموتَ بلا تَرَدُّدٍ ، وفاته أن المقاتِلِ المصريُّ يُؤْمِنُ بأن لكلِّ أَجَلٍ كتاباً ، وفاته أيضاً أنه يُؤْمِنُ بالقول القائل : رَبُّ جَرِيءٍ كُنِبَتْ لَهُ السَّلَامَةُ وَجَبَانَ لِقَى حَنَفَهُ فِي مَكْمَنِهِ .

لَقَدْ نَسِيَتْ إِسْرَائِيلُ أَنَّ قُوَّةَ الْإِيمَانِ الْكَامِنَةَ فِي نَفْسِ الْمِصْرِيِّ وَالْعَرَبِيِّ أَقْوَى مِنَ الْقَنَابِلِ وَالْمَدَافِعِ وَالصَّوَارِيخِ ، لَقَدْ تَضَاعَلَ مَا قَدَّمَته إِسْرَائِيلُ مِنْ اسْتِحْكَامَاتٍ قَوِيَةٍ ، وما نَظَّمته من طيرانٍ قَوِيٍّ ، وما جَمَعته من دَبَابَاتٍ عَصْرِيَّةٍ أَمَامَ هَذِهِ الْقُوَّةِ .

لَقَدْ تَضَاعَلَ كُلُّ ذَلِكَ أَمَامَ إِيْمَانِ شَعْبِ مِصْرَ بوطنِهِ ، وَأَمَامَ إِيْمَانِهِ بِعِزَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ وَحَضَارَتِهِ .

لَقَدْ تَضَاعَلَ كُلُّ ذَلِكَ أَمَامَ إِرَادَتِهِ وَصَلَابَتِهِ وَعَزِيمَتِهِ ، وَتَلَاشَى أَمَامَ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ فِي صَدْرِهِ وَالْمُلْتَهَبَةِ

بين ضلوعه ، تلك النار التي خَلَفَتْهَا نَكْسَةُ ١٩٦٧.

لقد برهنَ شعبُ مصرَ من عهدِ الفِرَاعِنَةِ حتى الآن أنه شعبٌ شجاع ، يأبى الذُّلَّ والهوان.

هذه طبيعةُ شعب مصر ، وهذه صورة من قوَّته وصلابته على مدى العُصور والقرون ومهما مرَّت به المِحَنُ والشَّدائدُ فهو أقوى من المِحَن وأصلبُ من الشَّدائد.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

- (١) لماذا أنشأ العدو خط بارليف؟ وماذا تعرف عنه؟
- (٢) كيف أصبحت قناة السويس في نظر رجال الحرب والسياسة من أصعب الموانع المائية ؟
- (٣) وضح دور الطيران المصري في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .
- (٤) ما دور المهندسين العسكريين المصريين في هذه الحرب؟
- (٥) " الطيران المصري يزأر في سماء سيناء " ، " الطيران المصري يطير في سماء سيناء " أى العبارتين أقوى في أداء المعنى؟ ولماذا؟
- (٦) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :

- أ- لم ينجح المصريون في إزالة الساتر الترابي بسبب ارتفاعه العظيم. ()
- ب- انتصرت مصر في معركة الدبابات بسبب قلة عدد دبابات العدو. ()
- ج- أصبح الحديث عن تفوق إسرائيل الحربي وهماً وخيالاً. ()
- د- رفض شعب مصر الهزيمة في عام ١٩٦٧ وحولها إلى نصر عام ١٩٧٣. ()
- هـ- ما قرأته في هذا الكتاب يوضح كفاح شعب مصر في عصور مختلفة. ()



<http://elearning.moe.gov.eg>

رقم الكتاب	عدد الصفحات بالغلاف	ورق الغلاف	ورق المتن	طبع الغلاف	طبع المتن	مقاس الكتاب
١٩٢	٦٠ صفحة	١٨٠ جم كوشيه	٧٠ جم أبيض	٤ لون	١ لون	$\frac{1}{8}$ (٨٢ × ٥٧) سم